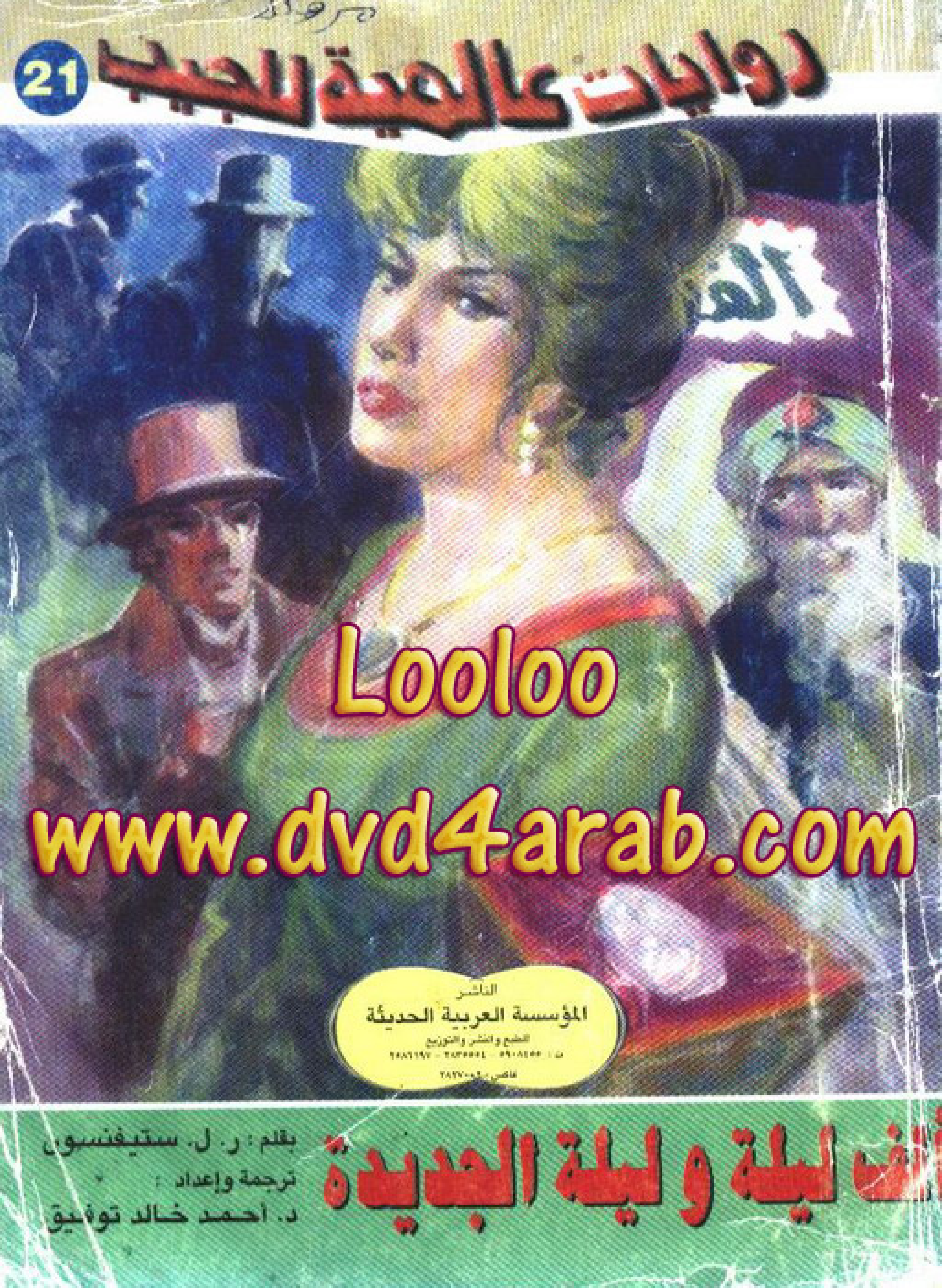


روايات عالمية للجيب
21
Looloo
www.dvd4arab.com
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ألف ليلة وليلة الجديدة
بقلم: ر. ل. ستيفنسون
ترجمة وإعداد:
د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدِّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف

لو أن أحدًا حاول أن يذكر قائمة بأفضل عشر قصص مغامرات فى تاريخ الأدب ، لكان من المحتم أن تتضمن القائمة قصة (جزيرة الكنز) لـ(ر.ل. ستيفنسون) . ولسوف يتكرر الأمر ذاته لو اخترنا قائمة من خمس قصص ، أو ثلاث قصص ، ولو اخترنا قصة واحدة لكان هناك احتمال لا بأس به أن تكون هى (جزيرة الكنز) ..

كلنا نعرف أحداث القصة ، لكننا لا نعرف شيئًا تقريبًا عن مبتدعها ..

مولود فى (إدنبرة) عام ١٨٥٠ .. دارس للقانون .. معتل الصحة إلى الحدِّ الذى يوحى فى كل لحظة بأنه يُحتَضر الآن ... هذا هو (روبرت لويس ستيفنسون) شاعرنا وأديبنا الشهير ..

لقد ترك مهنة القانون وتفرغ للأدب ، وكان كثير الأسفار .. وفى (كاليفورنيا) قابل من ستكون زوجته ، فعاد معها إلى (أسكتلندا) حيث كتب رائعته (جزيرة الكنز) فى صيف عام ١٨٨١

ولم يكن قد كتب أفضل رواياته بعد .. ففى عام ١٨٨٦ قدم لنا رائعته (الحالة الغريبة لدكتور جيكل ومستر هايد) ،

وهى التى صارت إحدى كلاسيكيات أدب الرعب وعلم النفس معًا .. وقدمتها السينما مرارًا بعد وفاته ..

وفى عام ١٨٨٨ ارتحل إلى (هونولولو) .. ثم إلى جزيرة (ساموا) من جزر جبل (طارق) حيث قدم روايتيه الشهيرتين (كاتريونا) و (الاختطاف) ..

وفى عام ١٨٩٤ انتصر المرض أخيرًا بعد صراع دام أربعة وأربعين عامًا ، ظلّ كاتبنا طوالها ينتظر نهايته فى كل لحظة ..

مات وهو يملى روايته (سيد الأسماك فى هرميستون) وكأنما الموت لم يطق صبرًا حتى يفرغ من كتابتها .. لقد انتظر طويلا وهو ذا الوقت قد حان ...

لكن (ر . ل ستيفنسون) عاش طويلاً جدًّا فى وجداننا وهو واحد من الموهوبين القلائل الذين لم يعد أدب المغامرة بعدهم كما كان قبلهم ..

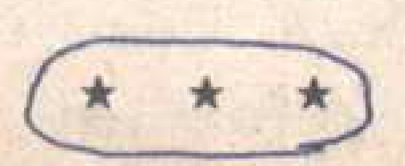
وفى هذا الكتيب نلتقى باثنتين من قصصه القصيرة الشائقة(*) ، والتى قدمها فى مجلد يحمل هذا الاسم الممتع : (الليالى العربية الجديدة) .. وبعبارة أقرب إلى فهمنا نحن العرب : ألف ليلة وليلة الجديدة ..

د. أحمد خالد

(*) لمزيد من الدقة ؛ هذه القصص ليست قصيرة إلا من ناحية الطول .. لكنها ـ من ناحية التركيب الأدبى ـ تدخل فى إطار الرواية .. أى أنها روايات قصيرة ..

قائمة بأشهر أعمال (ر.ل. ستيفنسون) :

جزيرة الكنز .
كاتريونا .
الحالة الغريبة لـ . د (جيكل) ومستر (هايد) .
الاختطاف .
رحلة داخلية .
دراسات مألوفة للإنسان والكتب .
الليالى العربية الجديدة .
الأمير أوتو .
الرجال السعداء .
فى بحر الجنوب .
قصص وحكايات خيالية .
الصلوات .
الأب داميان .
عظة مسيحية .



جوهرة الراجا

كانت جوهرة الراجا معجزة قادرة على تفسير نفسها .. لو وجدها صبى قروى لحملها صارخا إلى أقرب كوخ .. ولو وجدها متوحش بدائى لراح يعبدها حتى يكلّ ..

حكاية علبة القبعة

حتى سن السادسة عشرة ، فى مدرسة خاصة ثم فى معهد من المعاهد التى اشتهرت بها (انجلترا) ؛ تلقى مستر (هارى هارتلى) التعليم العادى الجدير برجل مهذب .. لكنه أظهر عدم ولع شديدٍ بالدراسة ..

وبعد عامين توفى والده تاركًا إياه شحاذًا ويتيمًا .. ولم يكن (هارى) صالحًا بأى حال للنشاطات العملية والعقلية .. كان يجيد غناء الأغانى الرومانسية يصاحبها بعزف موفق على البيانو ، وكان يملك روحًا فروسية ، ويتذوق لعبة الشطرنج بشكل ملحوظ ..

ثم إن مظهره الخارجى كان من أجمل المظاهر التى يمكن تصورها .. فهو أشقر وردى البشرة له عينا يمامة وابتسامة رقيقة .. وله أسلوب رقيق خاضع .. لكننا ـ حين يأتى الكلام الجادّ ـ لا يمكن أن نجده رجلاً مناسبًا كى يقود الجيوش أو يدير شئون الدولة ..

تدخلت الصدفة ـ وبعض التوصيات من ذوى النفوذ ـ كى تقدم لـ (هارى) فرصة كى يعمل سكرتيرًا

للجنرال سير (توماس فاندلير) .. كان سير (توماس) فى الستين من عمره عاتيًا عالى الصوت ..

ولسبب ما - يتهامس الجميع به - كان راجا (خاشجار) قد قدم لهذا الضابط سادس أكبر ماسة فى العالم .. وقد أحالت هذه الهدية الجنرال إلى رجل ثرى ، وأحد أسود مجتمع (لندن) وصارت كل الدوائر ترحب به ..

وسرعان ما وجد الجنرال شابة حسناء تمنت أن تكون الماسة لها ، حتى ولو كان ثمن ذلك هو الزواج من الجنرال ..

يقولون إن الجواهر تجذب الجواهر .. وقد كانت ليدى (فاندلير) درّة نادرة ، اعتادت أن يراها الناس فى بذخ .. ويعتبرها الثقاة من أكثر ثلاث سيدات أناقة فى انجلترا .

لم يكن عمل (هارى) مرهقًا .. لكنه كان يمقت كل أشكال العمل .. وكان يكره أن يلوث أنامله بالحبر ، كما أن جمال السيدة كان يجتذبه إلى خدرها بدلا من الجلوس فى المكتبة .. وكان لطيفا مع النساء يجيد الكلام عن الموضة ، ويمكنه أن يقوم بمأمورية من وإلى صانع القبعات .

فى النهاية ثار حنق الجنرال على تأخر مراسلاته .. ونهض من مكانه ليخبر سكرتيره أنه لم يعد بحاجة إلى خدماته .. واستعمل إشارة من يده قلما يستعملها السادة ، وكان الباب مفتوحًا ليسقط مستر (هارتلى) خارجًا منه ..

كان الحزن يغمره لأن الحياة فى دار الجنرال تناسبه .. رفقة لطيفة .. يعمل أقل ما يمكن .. ويأكل أفضل ما يمكن .. ثم إنه كان هائمًا بالليدى (فاندلير) ..

لهذا هرع إلى خدر الليدى وأخبرها بمدى أسفه على ما كان ..

وقال لها والدمع ينحدر من عينيه :

- « سيدتى .. ما الإهانة ؟ إننى لا أفهم كيف لا يغفر المرء الإهانات .. لكن ما يؤلم هو أن يفارق المرء أصدقاءه .. أن يكسر روابط العاطفة التى .. »

ولم يستطع إكمال الكلام لأن عاطفته خنقته .. فراح يبكى ..

نظرت له الليدى فى فضول وفكرت :

- « هذا الأحمق يحسب نفسه فى قصة حب معى ! لم لا يكون هو سكرتيرى بدلًا من الجنرال ؟ إنه لطيف المعشر خدوم يفهم فى الأزياء .. »

وليلتها فاتحت الجنرال بالأمر .. وكان هذا بالفعل قد بدأ يندم على فظاظته مع السكرتير .. وانتقل (هارى) إلى العمل فى خدر الليدى حيث كانت حياته أقرب إلى الجنة .. راح يلبس أكثر الثياب أناقة ويضع الزهور فىَ عروة سترته .. ويشعر بالفخار لأنه خادم لهذه المرأة الرقيقة ، حتى ولو كان الرجال يتهكمون عليه باعتباره (وصيفة مذكرة) ..

كان يشعر بأنه يعيش فى جزيرة مسحورة وسط عواصف الحياة ..

ذات يوم جميل كان يعزف بعض النغمات على البيانو .. وكانت ليدى (فاندلير) واقفة فى الناحية الأخرى تكلم أخاها .. وهو رجل متقدم فى العمر ضئيل الجسد يدعى (تشارلى بندراجون) .. أعرج .. مفلس بعد حياة تبذير طويلة ..

ولم يستطع السكرتير أن يتجنب سماع جزء من المحادثة :

ـ « اليوم أو لا للأبد .. مرة واحدة وينتهى الأمر اليوم .. »

ردَ الأخ متنهدًا :

ـ « اليوم إن كان هذا ضروريًا .. لكنها خطوة حمقاء يا (كلارا) .. ولسوف نندم عليها أبدًا .. »

نظرت له نظرة غريبة فى عينيه .. وقالت :

ـ « أنت تنسى أن الإنسان يموت فى النهاية حتمًا .. »

ـ « بشرفى يا (كلارا) .. أعتقد أنك أكثر وغد بلا قلب فى (انجلترا) .. »

ـ « يا لكم معشر الرجال من ضخام الأجساد حتى لتعجزون عن فهم معنى الكلمات الحكيمة ! ليس لدى صبر مع أمور كهذه .. »

ـ « ربما كنت على حق .. فقد كنت دومًا أبرع منى .. وعلى كل حال : أنت تعرفين شعارى : الأسرة قبل كل شىء .. »

ـ « نعم .. أعرفَ هذا الشعار .. وأعرف أن (كلارا) قبل الأسرة .. هذا هو الجزء الثانى من الشعار .. »

نهض مرتبكًا .. وقال :

ـ « من الخير ألا يرانى أحد .. وسأبقى عينى على قطتك المدللة .. »

ـ « افعل ذلك .. فهو شخص خسيس ومن الممكن أن يفسد كل شىء .. »

وسرعان ما انصرف الأخ ..

فما إن صارا وحيدين حتى هرعت الليدى إلى السكرتير .. وقالت له :

ـ « لدىَّ مأمورية لك اليوم يا (هارى) .. لكن ستركب عربة أجرة لأنى لن أترك الشمس تحرق بشرة سكرتيرى .. »

ثم أردفت فى مكر :

ـ « هو سر من أسرارنا العظيمة .. ولا يجب أن يعرفه أحد .. لو عرف سير (توماس) لكانت مأساة .. أوه يا (هارى) ! هل لك أن تقول لى لماذا الرجال قساة ظالمون إلى هذا الحدّ ؟ لكن .. أنت الرجل الوحيد الذى يجهل كل شىء عن هذه الأمور المشينة .. فأنت طيب رقيق .. وتجعل الآخرين يبدون أكثر شرًا بالمقارنة بك ! »

وصمتت لحظات كى تعمل كلماتها أثرها .. لكن ليس بما يكفى كى تسمح له بالردّ ..

وقالت :

ـ « لكن هذا خارج الموضوع .. ستجد صندوق قبعات فى الناحية اليسرى من الدولاب المصنوع من البلوط ..

ستأخذه إلى هذا العنوان .. لكن لا تتركه تحت أية ظروف حتى تتلقى إيصالاً بالاستلام بخطّ يدى .. هل تفهم ؟ إن هذا مهم جدًا .. »

راح (هارى) يردد تعليماتها .. وهنا دخل الجنرال إلى الشقة بوجه محمر غضبًا ، وفى يده فاتورة من بائع القبعات .. وصرخ :

ـ « هل يمكنك إلقاء نظرة إلى هذا يا (مدام) ؟ أعرف أنك تزوجتنى من أجل المال لكننى ـ كما أنا واثق من أن الله خلقنى ـ واثق أيضًا من أننى سأضع نهاية لهذا الإسراف المهين ! »

قالت الليدى لسكرتيرها :

ـ « مستر (هارتلى) .. أعتقد أنك تعرف الآن ما يجب عمله .. هل لى أن أسألك القيام به حالاً ؟ »

قال الجنرال لـ (هارى) :

ـ « لحظة .. كلمة قبل أن تنصرف .. ما هى مأمورية هذا الشاب العظيمة ؟ إننى لا أثق به أكثر مما أثق بك .. فهلا أخبرتنى بالأمر ؟ لو كانت لديه بقية من كرامة لغادر هذا المنزل حالاً .. ما هى مأموريته يا مدام ؟ »



مشى أسرع من المعتاد حتى كاد يعبر حدائق (كنترنجتون) حين وجد نفسه فجأة أمام الجنرال ! ..

- « لو كنت مصرًا على أن يلمّ الخدم بمشاداتنا .. فعلى أن أسأل مستر (هارى) البقاء هاهنا .. لا ؟ حسن .. يمكنك الانصراف يا مستر (هارى) .. »

فرّ (هارى) على الفور من الغرفة .. وصعد فى الدرج وهو يسمع صوت الجنرال وصوت الليدى الرفيع يتشاجران .. لكم احترم هذه المرأة ! لقد تحاشت سؤالاً محرجًا ببراعة .. وشعر بسعادة لأنه سيقوم بخدمة لها ..

وجد علبة القبعات حيث وصفتها له .. فنسق ثيابه وغادر الدار ..

كانت الشمس حارةً ومشواره طويلاً .. وتذكر فى ضيق أن دخول الجنرال منع الليدى من إعطاء (هارى) نقودًا لعربة أجرة ..

كان يعرف أن مظهره سيتأثر بعنف .. إن آل (فاندلير) يعيشون فى (إيتون بليس) ووجهته هى (نوتنج هيل) .. عليه إذن أن يعبر الحديقة .. مشى أسرع من المعتاد حتى كاد يعبر حدائق (كنزنجتون) حين وجد نفسه فجأة أمام الجنرال !

قال فى أدب وهو يوشك على الإغماء :

ـ « معذرة يا سير (توماس) .. »

ـ « إلى أين أنت ذاهب سيدى ؟ »

ـ « أجول بين الأشجار .. »

ضرب الجنرال بعصاه على صندوق القبعات .. وقال :

ـ « بهذا الشىء ؟ أنت تكذب وتعرف أنك تكذب ! »

ـ « لم أعتد أن يخاطبنى أحد بهذا الصوت المرتفع .. »

ـ « ألا تفهم موقفك ؟ أنت خادم لمن أحمل ضدها أعتى الشكوك .. كيف أضمن أنك لم تملأ الصندوق بالفضيات ؟ »

وأمسك به من كتفه فى خشونة ورفع عصاه مهددًا ..

اعتبر (هارى) نفسه ضائعًا .. وهنا منحته السماء مدافعًا غير متوقع ، فى شخص (تشارلى بندراجون) الذى برز من وراء الأشجار .

صاح :

ـ « هلم هلم يا جنرال ! ارفع يدك ! هذا ليس لطيفًا ولا رجوليًا .. »

استدار الجنرال ليواجه خصمه الجديد :

ـ « آها ! مستر (بندراجون) ! وهل تظن أننى

ـ لأننى كنت تعس الحظ إلى حدّ الزواج من أختك ـ سأسمح لنفسى بأن أهان بوساطة فاسق مفلس مثلك ؟ إن حياتى مع ليدى (فاندلير) ـ سيدى ـ قد جعلتنى أفقد الشهية تجاه كل أفراد أسرتها .. »

ـ « وهل تحسب يا جنرال أن أختى ـ ما دامت تعسة الحظ إلى حدّ الزواج منك ـ ستسمح لك بحرمانها من حقوقها كسيدة ؟ بالنسبة لى هى مازالت من أسرة (بندراجون) .. ومن واجبى أن أحميها من الاعتداء الوحشى ، ولن أسمح لحريتها بأن تقيد .. ولا أن يُوقف رسولها الخاص بهذا الشكل الشرس ! »

وأضاف فى حنق :

ـ « إننى أمنح نفسى حرية التدخل فقط حين أرى القوة يُساء استعمالها ، ورجلاً يسىء إلى من هم أدنى منه .. »

وأشار لـ (هارى) .. لكن الأخير كان أكثر غباء أو انزعاجًا من أن يفهم ..

ولوح الجنرال بعصاه قاصدًا رأس (تشارلى) ، لكن الأخير تحاشى الضربة بمظلته .. ثم صاح :

ـ « اجر يا (هارى) ! اجر ! هلم يا أحمق ! »

تصلب (هارى) لوهلة .. ثم ولّى الأدبار .. ونظر وراء كتفه ليرى الجنرال يهوى عند ركبتى (تشارلى) لكنه يحاول جاهدًا أن يغير اتجاه المعركة وامتلأت الحديقة بمن جذبتهم المشاجرة ..

كان المشهد يملأ (هارى) بشعور من الصدمة .. ثم تذكر أن ليدى (فاندلير) هى أخت واحد وزوجة واحد من هذين المتصارعين ؛ فشعر بالحزن من أجل حظ هذه المرأة العاثر ..

كان شارد الذهن حتى إنه نسى اتجاهه الأصلى .

تأمل المظروف الذى أعطته إياه الليدى .. كان العنوان هناك دون اسم .. كل هذا غامض جدًا .. وللحظةً بدأ يشك فى ليدى (فاندلير) نفسها .. لكن سيطرتها على روحه كانت كاملة .. لذا لام نفسه على هذه الشكوك ..

كان يريد الخلاص من صندوق القبعات بأسرع ما يمكن ..

أوقف أول رجل شرطة وسأله عن الطريق .. لم يكن بعيدًا .. ووصل إلى هدفه بعد دقائق .. كان منزلا حديث الدهان حسن المظهر ، ومطرقة بابه لامعة صقيلة .. وله ستائر ثقيلة فاخرة ..

قرع الباب وهو يزيل الغبار عن حذائه .. ظهرت له خادمة جذابة نوعًا .. ابتسمت له .. فقال لها :

ـ « هذا الطرد من ليدى (فاندلير) .. »

ـ « نعم .. أعرف .. لكن السيد غير موجود .. فهل تتركه لى ؟ »

ـ « لا أستطيع .. مطلوب منى ألا أسلمه إلا بإيصال .. وأخشى أن علىَّ أن أسألك تركى أنتظر .. »

ـ « حسن .. سأتركك تنتظر .. فأنا وحيدة ها هنا .. وأنت لا تبدو من النوع الذى يلتهم الفتيات .. لكن لا تسلنى عن اسم السيد .. »

ـ « هل هو صاحب البيت ؟ »

ـ « لا .. إنه يستأجره منذ ثمانية أيام .. هل تعرف ليدى (فاندلير) ؟ إنها جميلة أليس كذلك ؟ »

ـ « بلى .. وكذلك طيبة وكريمة .. »

ـ « أنت كذلك طيب .. وأراهن على أنك تستحق دستة من أمثالها ! »

قال وقد شعر بالخجل :

ـ « أنا مجرد سكرتير لها .. »

- « يا لهؤلاء النساء ! يرسلن سادة مهذبين مثلك يحملون علب قبعات فى يوم حارّ كهذا ! »

نظر إلى أول الزقاق ، فرأى لخيبة أمله جنرال (فاندلير) قادمًا ! كان يجرى فى الشارع يبحث عن أخى زوجته ، فما إن رأى السكرتير البائس حتى تغير هدفه .. وجاء يركض عبر الزقاق ..

اندفع (هارى) داخل المنزل وأوصد الباب فى وجه الرجل .. بينما المطرقة يتردد صداها فى أرجاء المكان .. وصاح (هارى) :

- « لو أمسك بى فأنا ميت ! إنه يطاردنى طيلة اليوم حاملاً عصا طرفها مدبب كسيف .. وهو ضابط جيش عائد من الهند .. »

سألته الخادمة :

- « من هو ؟ »

- « إنه سيدى الجنرال .. ويريد هذا الصندوق .. »

صاحت فى انتصار :

- « ألم أقل لك ؟ كنت أتوقع الأسوأ من سيدتك .. ولو عندك ذرة نظر لعرفت الشىء ذاته .. »

كان الجنرال يركل الباب الآن ..

- « من حسن الحظ » - قالت - « إننى وحدى فى المنزل .. وليدقّن جنرالك الباب حتى يكلّ ساعداه .. ولن يفتح له أحد .. »

واقتادت (هارى) إلى المطبخ فأجلسته .. ثم سألته :

- « ما اسمك ؟ »

- « (هارى هارتلى) .. »

- « اسمى (برودانس) .. هل تحبه ؟ »

- « جدًا .. ولكن .. الجنرال سيحطم الباب حتمًا .. عندها يكون هلاكى .. »

هزّت رأسها فى ثقة وقادته إلى الباب الخلفى .. ثم طلبت منه أن يركض بأسرع ما يستطيع لأنها ستدع الجنرال يدخل ..

لم يحتج (هارى) لنصحها لأنه كاد يطير فرارًا ..

جرى بضع خطوات حين سمع من يناديه بالاسم .. نظر للوراء ليجد (تشارلى بندراجون) يطلب منه التوقف .. لكن الذعر استبد بـ(هارى) فلم يجد خيرًا من الركض .. لم يسعفه ذهنه بتذكر أن (تشارلى) فى صفه مادام عدو عدوه ..

كان الزقاق منحدرًا ضيقًا تحيطه الأشجار من الجانبين ..

هنا لاح صبى جزار يحمل الصينية فى يديه .. الأمر الذى أوحى لمطارد (هارى) بفكرة جيدة .. فرفع عقيرته صائحًا :

- « أوقفوه ! لصّ ! »

وعلى الفور وضع صبى الجزار حمله واشترك فى المطاردة ..

كانت هذه لحظة مريرة لـ (هارى) الذى واصل الركض ، وهو يدرك أن موارده من التنفس تنفد بسرعة ..

- « يجب أن أجد مكانًا للاختباء ! وإلا فأنا منته تمامًا .. »

هنا اتخذ الزقاق منحنى جانبيًا ..

لم ينتظر (هارى) للتفكير .. وجد سور حديقة جواره .. فرمى بصندوق القبعات فوق السور ثم تسلق خلفه ليثب إلى الداخل ..

عاد إلى وعيه بعد لحظات ؛ ليجد نفسه جالسًا وسط

الزهور .. ويداه تدميان لأن السور كان مليئًا بالزجاج المكسور للوقاية من المتسلقين ..

سمع خطوات تدنو منه قبل أن يستعيد وعيه ..

كان القادم شخصًا ضخمًا غليظًا يرتدى ثياب بستانى ، ويحمل أداة للسقاء فى يده .. لم يشعر (هارى) بالذعر لأن سقطته سلبته الشعور تمامًا .

ترك الرجل يدنو منه .. ويوقفه بغلظة على قدميه دون حركة أو مقاومة ..

سأله الرجل فى استمتاع مرعب :

- « من أنت ؟ من أنت كى تطير فوق جدارى وتهشم زهورى ؟ وماذا تفعل هنا ؟ »

لم يجد (هارى) كلمة للتفسير .. على حين قال البستانى :

- « أريد أن أسمع منك قبل أن آخذك إلى المخفر .. أنت لصّ ! لصّ يكسب الكثير من المال ؛ لهذا أنت متأنق إلى هذا الحدّ .. هذا القميص ! أراهن على أنه أغلى من القبعة التى أرتديها يوم الأحد فى الكنيسة .. وهذا الحذاء الـ .... »

وهنا كفّ الرجل عن الكلام .. وتصلبت عيناه

على الأرض وراح يرمق شيئًا هناك .. وسرعان ما صاح :

ـ « ما كل هذا بحق السماء ؟! »

نظر (هارى) إلى اتجاه عينى الرجل ؛ فرأى ما جمّد الدم فى عروقه .. لقد سقط فوق صندوق القبعات فهشمه .. وهنا سقط منه كنز عظيم من الماس .. وقد تبعثر بعضه فى التراب .. كان هناك تاج ذهبىّ اعتاد أن يراه على ليدى (فاندلير) .. وخواتم .. وأقراط تبعثرت بين الأعشاب كندى الصباح ..

ثروة جديرة بالأمراء هناك بين الرجلين على الأرض .. تبعثر الضوء فى مليون قوس قزح ..

سرعان ما استعاد (هارى) الماضى .. وبدأ يفهم مغامرة اليوم .. ويفهم المؤامرة الحزينة التى تورط فيها ..

ـ « أنا ضائع ! »

تلفت البستانى حوله بحثًا عن وجوه فضولية .. ثم قال :

ـ « تجلد يا أحمق ! لقد انتهى أسوأ ما فى الأمر ..

لِمَ لمْ تقل لى من البداية إن هناك ما يكفى لاثنين .. بل لمائتين ؟! »

وراح يجمع المجوهرات المبعثرة بلهفة ويعيدها للعلبة ..

ثم أشار لـ (هارى) كى يتبعه فى اتجاه المنزل ..

عند مدخل الدار قابلا رجلاً شابًا يبدو أنه رجل دين .. متأنقًا جدًا وله نظرة تجمع بين الوهن والتصميم ..

تضايق البستانى من هذا اللقاء .. لكنه رسم البشاشة على وجهه وحيا القسّ فى مودة ..

ـ يوم جميل يا مستر (رولز) .. كما خلقه اللّه .. وهو ذا صديق لى أراد أن يرى زهورى .. لأنى حسبت السكان لن يعترضوا .. »

قال مستر (رولز) الموقّر :

ـ « بالطبع لا .. فالحديقة حديقتك يا مستر (ريبون) .. لكنى ـ بعد إطالة النظر ـ أرى أننى قابلت السيد من قبل .. مستر (هارتلى) على ما أظن ؟ »

ومدّ يده مصافحًا ..

فضّل (هارى) أن يترك نفسه تحت رحمة



وأثار وجهه الذى اجتاحته الشهوات الذعر فى نفس (هارى) ..

البستانى المجهول له .. على أن يقع فريسة فضول وشكوك شخص يعرفه .. لذا قال :

ـ « أخشى أن هناك خطأ ما .. اسمى هو (توملينسون) .. »

ـ حقًا ؟ إن التشابه لمذهل .. »

دون كلمة أخرى جرّ البستانى (هارى) إلى غرفة فى الحديقة .. وشدّ الستائر لأن مستر (رولز) ظلّ فى الحديقة وقد بدت عليه علامات الدهشة والتفكير ..

أفرغ البستانى محتوى علبة القبعات ، وراح يفرك يديه فى جشع وهو يرمق المجوهرات .. وأثار وجهه الذى اجتاحته الشهوات الذعر فى نفس (هارى) .. فهو لم يرتكب خطايا فى حياته .. لكنه الآن يشعر بكل مشاعر الخطيئة : الخوف من العقاب ـ شكوك الأخيار فيك ـ رفقة الأوغاد ..

قال الرجل وهو يقسم المجوهرات إلى كومتين متساويتين تقريبًا :

ـ « الآن ترى يا مستر (هارى) ـ لو كان هذا اسمك ـ أننى رجل بسيط سهل الطباع .. كان بوسعى

أن آخذ هذا الكنز كله لنفسى وأتمنى لو رأيتك تعترض ..
لكن لا بد أننى أحببتك .. فهل ترى هذه قسمة عادلة .
صاح (هارى) :
- « لكن يا سيدى .. ما تقترحه علىَ مستحيل ..
فهذه الماسات ليست ملكى ولا أستطيع أن أقتسم
ما هو ملك لسواى .. »
- « إذن أنا مضطر لأخذك إلى المخفر .. ألست
لصًا ؟ فكر فى السجن .. فكر فى المستعمرات .. فكر
فى يوم الحساب .. »
قالها ولوى ذراع الفتى بقوة ..
قال (هارى) وهو يتألم :
- « موافق .. »
- « هذا حمل وديع .. عرفت أنك ستعرف مصلحتك ..
سأحرق هذا الصندوق مع القمامة .. والآن خذ نصيبك
وضعه فى جيبك .. »
راح الرجل يتأمل الماس .. ومن حين لآخر تلتمع
شهوته ببريق ماسة جديدة ، فيأخذها من نصيب
السكرتير ..
واتجه الرجلان إلى الباب .. كان الشارع خاويًا من

المارة .. وإذا بالرجل يلوى رأس (هارى) لأسفل
بحيث لا يرى الشوارع التى يسيران فيها .. ودار به
ثلاثة منعطفات ثم أطلق سراحه وصاح :
- « والآن اغرب عن وجهى ! »
وركله ركلة رياضية محكمة الاتجاه .. ثم اختفى ..
ولوهلة ظل الفتى يبكى ألمًا وكمدًا .. فهو لم يُعامل
بهذه القسوة قط ..
كان هناك من يرمقه من النوافذ البعيدة .. ورأى
خادمًا تهرع نحوه حاملةً قدحًا من الماء .. ودنا منه
متشرد كان يتسكع فى الشارع المجاور ..
جرع من الماء .. وهنا لاحظ أن ما بقى من ماس
فى جيبه بعد (الشقلبة) التى أجبره عليها البستانى ؛
قد سقط منه .. تبعثر على الأرض ..
شعر أن استعادة هذه الماسات أشد أهمية من
فقدانه النصف الذى استولى عليه البستانى .. لكن
- واحسرتاه ! - ما إن دنا من الماس ، حتى لوح
المتشرد مهددًا .. ووثب ليلتقط قبضة من الماس
وهرع يجرى عبر الشارع بسرعة جنونية !

نهض (هارى) وراح يطارد المتشرد صارخًا .. لكن الآخر كان سريعًا جدًا ..

عاد (هارى) مهدمًا إلى مشهد المأساة .. كانت الخادم قد أعدت قبعته وما تبقى من الماس .. فشكرها .. ولما كان فى مزاج غير مناسب للاقتصاد ؛ فقد شق طريقه إلى موقف عربات الأجرة ، واتجه إلى (إيتون بليس) ..

وصل إلى المنزل فرآه فى حال توحى بالخراب ..

كان الخدم واقفين فى الصالة قلقين .. مرّ بهم متظاهرًا بالكبرياء واتجه إلى خدر الليدى (فاندلير) .. عندها رأى الجنرال والليدى و (تشارلى بندراجون) واقفين وعلى وجوههم أمارات الجدية .. لقد اتحدوا جميعًا فى وجه خطر مشترك ..

صرخت الليدى :

ـ « حمدًا لله ! ها هو ذا ! صندوق القبعات يا (هارى) .. الصندوق ! »

لكن (هارى) ظل صامتًا ..

كرر الرجال السؤال بصوت مهدد ..

أخرج (هارى) قبضة مجوهرات من جيبه .. كان شاحبًا جدًا .. وقال :

ـ « هذا كل ما بقى .. وأقسم أمام اللـه أن هذا لم يكن خطأ منى .. وبعض هذه المجوهرات يمكن استرجاعها أما البعض فلا .. »

قال الجنرال :

ـ « مدام .. يمكننى أن أغفر لك سرقة تاج أمى وخاتمها .. ولكن ليس ماسة الراجا .. عين الضياء كما يسميها الشرقيون .. فخر الـ (خاشجار) ! لقد انتهى ما بيننا للأبد يا مدام ! »

قالت الزوجة :

ـ « صدقنى يا جنرال .. لو أنك أصغر سنًا ولديك ماسة أكبر من رأسك ؛ فلسوف أحذر حتى خادمتى من زيجة مدمرة كهذه .. أما أنت يا مستر (هارتلى) .. »

وأدارت رأسها نحو السكرتير ـ « .. فإن لدينا الآن قناعة تامة بأنك تفتقر إلى الرجولة والإحساس واحترام الذات .. وعليك بالاستقالة حالاً .. ويمكنك أن تطالب بأجرك من (تفليسة) زوجى .. »

لم يكد (هارى) يستوعب هذه الإهانة حتى باغته الجنرال بأخرى :

ـ « والآن .. ستذهب معى لأقرب مفتش شرطة ..

إنك قد تخدع جلديًا بسيطًا ، لكن عين القانون ستعرف أسرارك المشينة .. ولسوف يسلبنى الله متعة عظيمة لو أنك لم تجمع ألياف الكتان حتى يوم مماتك .. »(*)

وهكذا جرّ الجنرال (هارى) من الشقة إلى قسم الشرطة ..

يقول الرواى العربى : وهكذا تنتهى قصة صندوق القبعات .. لقد اقتنع رجال الشرطة ببراءة السكرتير خاصة بعد ما عاونهم قدر الإمكان .. وسرعان ما ورث مبلغا لا بأس به من خالة فى (ورسسترشاير) ، تزوج به (برودانس) ورحل إلى (بنديجو) وبدأ حياة راضية ..

* * *

(*) يعنى الأشغال الشاقة المؤبدة .. وكان المساجين يرسلون للعمل فى المزارع فى المستعمرات ..

حكاية رجل الدين الشاب

كان مستر (سيمون رولز) الموقر قد أحرز لنفسه مكانًا مرموقًا فى علوم الأخلاق .. وكان شديد الكفاءة فى دراسة اللاهوت .. وغدا له وضع متميز فى جامعة (أوكسفورد) ..

لكن هذه الإنجازات الطموح لم تساعده فى تحقيق مستقبله .. ولقد أقام فى هذا الجزء من (لندن) لأنه يجلب له السلام .. ويساعده على الدراسة ، بالإضافة لرخص الإيجار الذى يدفعه لمستر (ريبورن) ..

واعتاد بعد الظهر ـ وبعد سبع أو ثمانى ساعات من الدراسة ـ أن يمشى بعض الوقت بين الزهور متأملاً ... وفى العادة تكون هذه أكثر ساعات يومه إثمارًا .. لكن هذا لم يمنعه من ملاحظة سكرتير الجنرال (فاندلير) ممزق الثياب ملوثًا بالدماء وفى صحبة مالك الدار ..

وأثار فضوله أن السكرتير أنكر شخصيته بإصرار .. مما جعله ينسى القديسين والآباء ويشعر بفضول غير عادى ..

وفكر :

- « لا يمكن أن أكون مخطئًا .. لاشك أن هذا هو مستر (هارتلى) .. كيف صار بهذا المنظر المزرى ؟ ولم ينكر اسمه ؟ »

ثم إن (ريبورن) دخل ومعه صديقه إلى الكوخ .. وحين نظر من النافذة والتقت عيناه بعينى مستر (رولز) ؛ بدا الارتباك على البستانى وسرعان ما أسدل الستائر ليحجب ما يحدث عن القسّ ..

تحرك المخبر البوليسى الموجود فى كل منا ، ليصحو فى صدر مستر (رولز) .. وبخطوات ملهوفة لا تشبه خطواته الأصلية فى شىء راح يدور حول الحديقة وسرعان ما رأى زهورًا محطمة وخدوشًا على الجدار ، وقطعة ممزقة من سروال ، تتدلى من إحدى قطع الزجاج المحطم على الحائط .

هكذا إذن دخل صديق مستر (ريبورن) !

انحنى القس الشاب يتفحص الأرض .. كانت آثار أنامل كأنما هناك من راح يجمع شيئًا تبعثر على الحشائش ..

- « لعمر الله إن الأمر يزداد إثارة للاهتمام .. »

عندها رأى شيئًا مدفونًا فى الأرض ..

كانت علبة مغربية الصنع مزخرفة بالعاج .. لقد داسها أحدهم بحذائه مما جعلها تفلت من بحث مستر (ريبورن) المدقق ..

فتح العلبة وشهق دهشة إذ استقرت أمامه على وسادة من المخمل الأخضر ماسة هائلة الحجم .. فى حجم بيضة دجاجة بلا عيب واحد .. وشعر أن يده تحترق من ملمسها بألف نار داخلية ..

لم يكن يعرف الكثير عن الأحجار الثمينة .. لكن جوهرة الراجا كانت أعجوبة قادرة على تفسير نفسها .. لو وجدها صبى قروى لحملها صارخًا لأقرب كوخ .. ولو وجدها متوحش بدائى لراح يعبدها حتى يكلّ .. إن من يملك هذه لقادر على بناء كاتدرائيات أعظم من (كولون) .. قادر على أن يتحرر للأبد من لعنة الفقر . وقادر على أن يتبع مزاجه الخاص دون عجلة ولا توتر ..

إن القرارات الحاسمة يتم اتخاذها فى لحظة دون وعى تقريبًا .. وهذا ما فعله مستر (رولز) .. لقد تلفت حوله فلم ير أحدًا .. وسرعان ما وضع العلبة فى جيبه وهرع إلى مكتبه بسرعة الذنب ذاتها .

لقد سرق مستر (رولز) المحترم ماسة الراجا !

بعد الظهر وصل رجال الشرطة مع (هارى هارتلى) .. وسرعان ما تم الكشف عن المجوهرات التى استولى عليها البستانى ..

هنا ظهر مستر (رولز) مبديًا استعداده التام للمعاونة .. وحكى ما رآه بوضوح واعتذر عن عدم قدرته على إسداء خدمات أكبر لرجال الشرطة .. وقال :

- « لكنى أفترض أن مهمتكم قد انتهت تقريبًا .. »

قال ضابط (سكوتلانديارد) :

- « بتاتًا .. هناك جواهر أكثر أهمية لم نجدها بعد .. »

- « لابد أنها تساوى ثروة .. »

صرخ الضابط :

- « بل عشر ثروات .. عشرين ثروة ! »

قال (رولز) فى مكر :

- « كلما ساوت أكثر كلما صار عسيرًا بيعها .. إن هذه الأشياء يستحيل إخفاؤها .. ربما كان من الأسهل على المرء أن يبيع كاتدرائية القديس (بول) .. »

- « حقًا .. لكن لو كان اللص ذكيًا لقطع الجواهر

الكبرى - خاصة ماسة الراجا - إلى أجزاء وسيوجد ما يكفى لجعله ثريًا بعد هذا .. »

قال (رولز) :

- « شكرًا .. لن تتصور كم أن هذه المحادثة تثير شغفى ! »

وعاد مستر (رولز) إلى شقته .. بدت له أصغر وأكثر عريًا من المعتاد .. ونظر إلى المكتبة بعين مشمئزة ..

فكر وهو يتأمل المجلدات :

- هؤلاء السادة هم - ولا مراء - كتاب نافعون .. لكنهم يجهلون الحياة بشكل واضح .. هأنذا أملك من العلم ما هو جدير بأسقف لكنى لا أعرف كيف السبيل إلى الخلاص من ماسة مسروقة ..

إن لدىّ فكرة عامة لكنى لا أدرى كيفية تطبيقها .. »

هنا تذكر أنه يعرف صائغًا يُدعى (ب. ماكولوش) فى (إدنبره) سيسعده حتمًا أن يمنحه المران اللازم بضعة أشهر وربما أعوام بعدها يمكنه أن يقسم ماسة الراجا ويبيعها .. من ثَمَّ يعود لممارسة أبحاثه دون قلق .. طالبًا ثريًا يحسده الجميع ..

ونام تزوره الرؤى الذهبية ...

فى الصباح جاء رجال الشرطة لإغلاق دار المستر (ريبورن) .. وكان هذا عذرًا كافيًا له كى يرحل .. أعدَّ حقائبه ونقلها إلى (كينجز . كروس) ، ثم ذهب إلى النادى ليمضى الأمسية ويتناول عشاءه إلى أن يجىء القطار ..

قال له أحد معارفه هناك :

- « لو تعشيت هنا الليلة يا (رولز) فلسوف تلقى رجلين شهيرين فى انجلترا .. الأمير (فلوريتسل) من (بوهيميا) .. و (جون فاندلير) العجوز .. »

- « سمعت عن الأمير .. وقابلت الجنرال مرة .. »

- « الجنرال حمار كبير ! هذا هو أخوه (جون) خبير الأحجار الكريمة وأحد الدبلوماسيين العظام .. ألم تسمع عنه قط ؟ خذ مائدة بقربه .. وأصغ لما يقال .. ولتسمعن عجبًا .. »

تساءل القس :

- « ولكن كيف أعرفهما ؟ »

صرخ صاحبه :

- « تعرفهما ؟ إن الأمير هو المخلوق الوحيد الحى

الذى يبدو كملك .. أما (فاندلير) فيشبه (أوليس) لو عاش إلى سن السبعين ، ولو كانت هناك طعنة سيف فى وجهه ![*] .. لسوف تعرف الرجلين حتمًا .. »

هرع (رولز) بلهفة إلى قاعة الطعام .. وكانت كما وصفها صاحبه .. وكان من المستحيل أن تخطئ الرجلين المعنين ..

كان (جون فاندلير) العجوز عملاقًا ، هو خليط من الفارس والبحار ، له قسمات جرينة وأنف معقوف ووجه مشاكس .. يعطيك الانطباع برجل أفعال شرس .. أما شعره الأبيض وندبة السيف على خده فيعطيان انطباعًا بالتوحش ..

وكان أمير (بوهيميا) كما وصفه صديق (رولز) بالضبط ..

الجالسون متناثرون فى أرجاء القاعة تاركين هذين الاثنين المتميزين وحدهما .. لكن القسّ لم يهب شيئًا .. فدنا من الرجلين وجلس على أقرب مائدة قربهما .. وراح يسمع محادثة غريبة نوعًا ..

(*) أوليس بطل إغريقى شهير ..

إن (جون فاندلير) لـه مغامرات كثيرة فـى كـل أرجاء العالم .. أما الأمير فكانت لديه تعليقات أهم من المغامرات ذاتها ..

هكذا كانت هناك خبرتان أمام القسّ .. ولم يدر من يحترمه أكثر ، المؤدى الشجاع أم خبير الحياة البارع ؟ الرجل الذى يتحدث بجرأة عن أفعاله ، أم الرجل الذى يعرف كل شىء دون أن يفعل شيئًا ؟

وكـان (فـاندلير) يتحـدث ، وهـو يحـرّك ذراعيـه بإشارات فظة .. وله صوت عـال .. أمـا الأمير فكان ارستقراطيًا جدًا وهادئا .. وكانت أقل إيمـاءة لـه أكثر أهمية وثقلاً من كل الصراخ الصادر من مرافقه ..

كان الرجلان يتحدثان عن ماسة الراجا !

قال الأمير (فلورتيزل) :

ـ « خير لهذه الماسة أن تُلقى فى البحر .. »

قال (فاندلير) :

ـ « أظـن أن سمـوكم تعتبـروننى منشقًّـا عـن آل (فاندلير) .. »

ـ « إننى أتحدث بخصـوص السياسـة العامـة .. إن المجوهـرات الثمينـة كهذه يجب ألا يسمح بها إلا فى

خزانة أمير أو بنـك دولـة .. أمـا أن يتم تداولها بين النـاس العاديين فـأمر غير طبيعى .. وإذا كـان راجـا (خاشجار) يبغى الانتقام من الأوربيين ، فما كان ليجد وسيلة أفضل من هذه الهدية التى تجلب الفتنة .. إننى أعتقد أننـى غير قـادر علـى الاحتفـاظ بهـذه الماسـة وسلامتى فى آن واحد .. وأنت يا صائد الماسة بطبعك وذوقك .. لا أعتقـد أنـه توجد جريمـة لـن تقارفها .. ولا صديق لـن تخونـه .. سـتحارب كـى تكـون هـذه الماسة لك عامًـا أو اثنين بعدهمـا تموت .. ومن آن لآخر تفتح خزانتك لتطمئن عليها .. »

قال (فاندلير) :

ـ « أنـت محـق .. لقـد اصطدت أكثر الأشياء .. اصطدت الرجال والنساء وحتـى البعوض .. وطاردت الحيَتان والنمور .. وكما لسموكم أن تتخيل أنـا أبحث عن ماسة الراجا فى هذه اللحظـة .. إننـى أعرف كل جوهرة فى مجموعة أخى كما يعرف الراعى خرافه .. وأتمنى أن أموت ما لم أحصل عليها جميعًا .. »

قال الأمير بنوع من الاشمئزاز :

ـ « لا أفهم ما ترمى إليه بالضبط .. »

هنا دخل خادم ليخبر (فاندلير) أن عربته بالانتظار ..

نظر مستر (رولز) إلى ساعته .. ووجد أن عليه الانصراف هو أيضًا .. كان يريد معرفة المزيد عن صائد الماس هذا .. للأسف ..

كان قد حجز - كعادته - أريكة مريحة فى عربة النوم بالقطار ..

وقال له حارس القطار :

- « ستكون مستريحًا ولا يوجد سوى سيد عجوز فى الناحية الأخرى من القمرة .. »

مرت ساعته وتم فحص التذاكر .. ورأى (رولز) رفيق سفره يحرسه عدد من الحمالين يقودونه إلى مكانه .. وبالطبع ما كان هناك رجل فى الكون لا يرغب (رولز) فى رؤيته مثل (جون فاندلير) العجوز !

يتم تقسيم عربات النوم فى خط الشمال إلى ثلاثة أقسام : قسم فى كل طرف لأحد المسافرين .. وفى الوسط يوجد قسم معدّ كدورة مياه .. ويوجد باب يفصل الدورة عن كل غرفة على حدة .. ولم يكن هناك ترباس أو قفل مما يجعل المكان - عمليًا - مشتركًا ..

أدرك مستر (رولز) أن موقفه خطر بالفعل .. فهو بلا دفاع على الإطلاق .. ولو أراد (فاندلير) أن يزوره ليلاً فلا شىء يمكن عمله ..

شعر بذعر مؤلم ...

تذكر فى هلع ما قاله (فاندلير) على العشاء منذ ساعتين .. وكان قد قرأ أن بعض الأشخاص يملكون حسًا خاصًا نحو الأحجار الكريمة .. ويشعرون بها على بعد ومن وراء الجدران !

لو كان هذا صحيحًا فمن أجدر بهذه الموهبة من الشخص الذى يفخر بلقب (صائد الماس) ؟!

إن لديه أسبابًا قوية ليهاب رجلاً كهذا ، وينتظر طلوع الصبح بلهفة ..

دارى الماسة فى أعمق أعماق جيوب معطفه ..

واستعاد القطار مسيرته السريعة ..

بدأ النعاس يهزم القلق فى عينى مستر (رولز) .. ووجد أن عينيه تنغلقان ببطء .. حاول المقاومة لكن سدى ..

حين استيقظ مضى وقت طويل قبل أن يستعيد توازنه ..

جذب قبعته على عينيه كى يحميهما من وهج النور القادم من الخارج .. بينما رؤى مخيفة تطارده ..

الماسة فى جيبه كبيرة جدًا .. تضغط على صدره .. تحرقه .. ولربع ثانية فكر فى أن يطوح بها من النافذة ..

هنا حدث شىء مرعب ..

تحرك الباب الذى يقود إلى دورة المياه قليلاً .. وفى النهاية انفرج عن فراغ مقداره عشرون بوصة .. كان المصباح فى الحمام يتوهج .. ورأى (رولز) رأس مستر (فاندلير) يتلصص باهتمام شديد !

وأدرك أن تحديق الرجل يتركز على رأسه .. فجعلته غريزة الحفاظ على الحياة يحبس أنفاسه ويكفَ عن الحركة .. وراح يرمق الرجل من وراء أهدابه ..

بعد دقائق عاد الرأس للداخل وانغلق الباب ..

لم يأت الرجل ليهاجم .. بل ليلاحظ .. ولم يكن مسلكه مسلك رجل يُهدِد بل مسلك رجل مُهدَد . كان يريد الاطمئنان فاطمأنَ وعاد ..

نهض (رولز) على قدميه وقد بدأ يشعر بالجسارة .. اتجه إلى الحمام وفتحه .. ثم فتح الباب على الجانب

الآخر فى حذر شديد .. عندها لم يملك نفسه دهشة ..

كان (جون فاندلير) منهمكا فى عمل غريب .. فبين قدميه كانت هناك علبة من الورق المقوى .. وفى يده مدية وفى اليد الأخرى كم معطف يمزقه بهذه المدية .. يبدو أن بطانة الكمّ تحوى مجوهرات .. وهاهى ذى ماسة تلو أخرى تسقط فى العلبة الورقية ..

استطاع (رولز) من مكانه أن يعرف أن هذه الماسات هى التى سرقها المتشرد من (هارى هارتمان) .. بالتأكيد هى .. فقد وصفها له الضابط جيدًا .. هى ذى نجمة الياقوت .. وزمردة كبيرة فى وسطها ..

وشعر (رولز) بالراحة .. إن (فاندلير) متورط فى الأمر مثله تمامًا .. لهذا تنهد تنهيدة عميقة .. لكنها جعلته يسعل لأن حلقه كان جافًا ..

نظر مستر (فاندلير) لأعلى وتقلص وجهه ، وتدلى فكه دهشة .. ولنصف دقيقة تبادل الرجلان النظرات ..

كان هذا وقتًا كافيًا لمستر (رولز) لأنه كان سريع التفكير فى وقت الخطر .. وقرر أن يقوم بعمل جرىء ..

قال وقد تمالك رباطة جأشه :



ثم فتح الباب على الجانب الآخر فى حذر شديد .. عندها لم يملك نفسه دهشة .. كان (جون فاندلير) منهمكاً فى عمل غريب ! ..

ـ « أطلب عذرك »

نظر له الرجل .. وبصوت خشن تساءل :

ـ « ماذا تريد من هنا ؟ »

ـ « إننى مهتم بالماس .. ولدىَّ هنا تحفة قد تروق لك .. » وعلى الفور أخرج علبة من جيبه .. وأظهر للرجل ماسة الراجا ..

ـ « كانت هذه لأخيك ! »

ظل (فاندلير) يرمقه فى ذهول .. ولم يتكلم .. فأردف (رولز) :

ـ « يسرنى أن ألاحظ أن كلينا يحمل جواهر من ذات المجموعة .. »

قال (فاندلير) :

ـ « أعذرنى أيها الشاب .. واضح أنك لست جباناً .. لكن مازال علىَّ أن أتأكد مما إذا كنت لست أحمق الحمقى فى العالم .. ولأفترض لحظة أن لديك غرضاً ما من هذا العرض .. »

قال (رولز) :

ـ « الأمر سهل .. ينبع من انعدام خبرتى وجهلى الشديد بالحياة .. »

- « يسرنى أن أقتنع .. »

حكى له (رولز) كل شىء عن ماسة الراجا .. وتوصل فى النهاية إلى هذه الكلمات :

- « عرفت أننا نحمل الموقف ذاته تجاه المجتمع .. وألهمنى هذا - بأمل لم يكن غير ذى أساس - بأنك ستكون شريكًا لى فى صعاب ومزايا الأمر .. فأنت تعرف الكثير عن الماس ولن تتجشم عناء فى بيع هذه .. بينما الأمر بالنسبة لى مستحيل .. ومقدار ما ستأخذه من مال يعادل ما كنت سأخسره بقطع هذه الماسة بيد غير خبيرة .. وإننى لأعتذر عن عدم لياقتى ، لكنى لا أعرف أسلوب (الإيتيكيت) المتعلق بأمر كهذا .. »

قال (فاندلير) :

- لست براغب فى إطرائك .. لكن - بشرفى - إن لك ميلاً غير معتاد للإجرام .. لقد قابلت أوغادًا فى كل بقاع الأرض ، لكنى لم ألق قط من لا يخجل مثلك .. أبشر يا مستر (رولز) فقد وجدت مهنتك الصحيحة أخيرًا ! إن لدى عملاً يستغرق يومًا فى (إدنبرة) فما إن يتم حتى أعود إلى (باريس) .. فلو سمحت

بمرافقتى إلى هناك ، سأكون قد وصلت إلى حل مرض بصدد هذا الأمر خلال شهر واحد .. » .

هنا كف الراوى العربى عن سرد قصته .. وإنى لآسف لهذا لكنى مضطر لأن أتقيد بالقصة الأصلية .. لهذا أحيل القارئ إلى الفصل التالى ، ليعرف ما حدث لمستر (رولز) ..

* * *

حكاية المنزل ذى الستائر الخضراء

كان (فرانسيس سكريمجور) موظفًا بالبنك فى (إدنبرة) .. وصل إلى سن الخامسة والعشرين فى مناخ منزلى هادئ ، ونال تعليمًا ممتازًا فى المدرسة .. برغم وفاة والدته فى سن مبكرة من حياته ..

كان لين العريكة رقيق الحاشية ، كرّس نفسه وروحه لعمله . ولذا صار رؤساؤه يحبونه ، وغدا راتبه مائتى جنيه فى العام ، مع وعد بمضاعفة هذا المبلغ مع الترقية .. وعامة لم يكن هناك شبان كثيرون راضون مثله ..

فى ذات يوم تلقى مذكرة من شركة محاماة معروفة ، يطلبون اللقاء به .. وكان الخطاب سريًا وخاصًا ..

لهذا نفذ الطلب باهتمام ..

كان مدير الشركة ودودًا .. رحب به فى جدية ، وراح يشرح له الموضوع :

إن شخصًا ما يفضل أن يبقى اسمه سرًا - لكن المحامى لديه أسباب كثيرة ليثق به - يريد أن يمدّ

(فرانسيس) بمعاش سنوى قدره خمسمائة جنيه ، وسيكون المبلغ تحت رعاية كفيلين .. وهما كذلك يريدان أن يظلا غير معروفى الاسم ..

وهو يعتقد أن عميله لن يجد شيئًا مهينًا أو مبالغًا فيه فى الشروط التى يحصل بها على هذا المبلغ ..

- « وما هى الشروط ؟ »

- « لا أخفى عليك أنها غير معتادة .. فى الواقع القضية كلها غريبة .. وكان علىّ أن أرفضها لكنى لا أستطيع أن أخيب ظن هذا العميل .. »

سأله (فرانسيس) أن يوضح الكلام أكثر ..

- « إنهما شرطان تحصل بهما على المبلغ .. »

ورفع المحامى حاجبيه .. وقال :

- « الأول سهل جدًا : يجب أن تكون فى باريس بعد ظهر الأحد الخامس عشر من الشهر .. وستجد هناك فى شباك تذاكر (الكوميدى فرانسيز) تذكرة باسمك .. عليك الدخول والجلوس طيلة العرض فى المقعد المطلوب .. هذا كل شىء ..

« أما الشرط الثانى فأكثر أهمية : إن عميلى يريد أن يختار لك زوجتك بشكل مطلق .. أنت تفهم هذا ! »

سأله (فرانسيس) :

- « لنكن أكثر وضوحًا .. هل سأتزوج واحدة - خادمة أو أرملة - يريد هذا المجهول أن يزوجها لى ؟ »

قال المحامى ..

- « أؤكد لك أن تناسب الوضع الاجتماعى مهم جدًا بالنسبة للمحسن إليك .. »

سأله (فرنسيس) :

- « كل هذه الأمور لا تصدق .. وما لم أر ضوء النهار ومبررًا واضحًا فإنه يؤسفنى أننى عاجز عن قبول هذا العرض .. لذا اطلب منك معلومات أكثر .. إذا لم تكن تعرف أو لا تقدر على التخمين أو لست مخولًا بأن تجيب ، عندها سآخذ قبعتى وأعود إلى البنك .. »

- « أنا لا أعرف .. لكن عندى تخمينًا جيدًا .. أن أباك وراء هذا ! »

- « أبى ؟! » - صاح (فرنسيس) غير مصدق - « هذا الرجل الطيب .. إننى أعرف كل أسراره وكل مليم يملكه .. »

قال المحامى :

- أنت تسىء فهمى .. أنا لا أتحدث عن مستر (سكريمجور) الكبير .. بل عن والدك ! أبيك الحقيقى .. »

من المستحيل هنا أن نصف ذهول (فرنسيس) لدى سماعه هذه المعلومة الغريبة .. ووسط حيرته فارق المكان متجهًا إلى داره ، شاعرًا بمزيج من الأهمية والغرابة ..

بدأ يحسّ فى قلبه نفورًا من اسم (سكريمجور) ، وراح يشعر بضيق من حياته السابقة عديمة الأهمية .. لقدْ تلقى شيكًا يحوى نصف المبلغ لأن المعاش يبدأ فى يناير ...

وما إن عاد لشقته حتى بدأ يشعر باشمئزاز من رائحة الحساء التى تفعم المكان ، ويلاحظ عيوبًا فى سلوك أبيه بالتبنى ، لقد أعدّ نفسه تمامًا لحياته القادمة ...

فى باريس انتقى فندقًا رخيصًا يسكن فيه الإنجليز والإيطاليون .. وكرس وقته كى يجيد الفرنسية ، فراح يتسلى بمحادثة عابرى السبيل فى (الشانزليزيه) وزيارة المسرح ليلًا ..

وعندما جاء الصباح ؛ اتجه إلى شباك التذاكر فى

المسرح الكائن فى شارع (ريشليو) .. قدم له الموظف مظروفًا يحوى تذكرة .. وقال :

- « لقد تم حجزها لك هذه الساعة ! »

- « حقًا ؟ هل لى أن أسأل عن مظهر السيد ؟ »

- « هذا سهل .. إنه عجوز قوى أشيب الشعر .. ويوجد أثر سيف على خده .. ولسوف تتعرفه بسهولة ! لن يكون بعيدًا .. لو أسرعت ستجده .. »

راح (فرنسيس) يبحث فى كل مكان وسط الوجوه .. دون جدوى .. لكن - حين كاد ييئس خدمته الفرصة بشكل غير عادى .. فقد وجد على إفريز شارع (رو دى مارتير) رجلين على مقعد .. أحدهما شاب أسمر له سيماء رجل الدين .. أما الآخر فكان يتفق مع كل حرف ذكره الموظف !

شعر بفؤاده يخفق فى صدره .. وأدرك أنه أمام أبيه ..

وقف خلف الاثنين اللذين استغرقتهما المحادثة فلم يلحظا وجوده .

قال العجوز بالإنجليزية كما توقع (فرنسيس) :

- « إن شكوكك تضايقنى يا (رولز) .. إننى أبذل ما بوسعى .. ألا تحيا على نفقتى ؟ »

قال الآخر :

- « بل على مقدم أتعابك يا مستر (فاندلير) .. »

- « حسن .. لن نختلف على المصطلحات .. فقط كف عن مضايقتى وإلا فابحث عن شخص آخر .. »

- « إن لديك كل الأسباب التى تغريك بخداعى .. ولا تغريك بتعامل شريف .. وعاجلاً .. أو آجلاً ستسرق الماسة .. »

قال (فاندلير) :

- إن تبادل الاتهامات لعبة لاثنين يا مستر (رولز) .. وإذا لم ترض بالانتظار فإنك تجازف بالسقوط فى بئر بلا قاع داخلى .. وعندئذ مرحبًا بك ! »

قال ذلك وهو ينهض متجهًا نحو (مونمارتر) ..

شعر (فرنسيس) بهلع ودهشة .. كان يأمل فى أن يشعر برقة الرجل وحنانه ، لكنه الآن يشعر بيأس واشمئزاز .. إن أباه القديم يبدو وديعًا جدًا حين تقارنه بهذا الرجل الشرس الخطير ..

راح يمشى دون شعور وراء الرجل الذى لم ينظر وراءه قط ..

كان منزل الرجل فى (رودى لابيك) .. له نوافذ مغلقة بستائر خضراء وكل أبوابه موصدة .. ورآه (فرنسيس) يدخل ..

كانت هناك لافتة تقول : مسكن غير مؤثث للإيجار .. وهى تعلن عن مبنى مواجه لمنزل (فاندلير) ..

لم يتردد (فرنسيس) لحظة .. بل سرعان ما استأجر الغرفة ، وعاد لفندقه كى يجلب حقائبه .. فقد يكون العجوز أباه وقد لا يكون .. لكنه بالتأكيد على حافة لغز مثير .. وقد أقسم أن يعرف سرّ هذا الرجل ..

ومن نافذة شقته راح يراقب الحديقة ..

كانت حديقة عاذية ، لكن المنزل يعطى انطباعًا عامًا بالسجن ، وكانت الستائر مسدلة على الدوام ..

راح يزجّى الوقت فى إجادة الفرنسية ، عن طريق دراسة هندسة (إقليدس) بالفرنسية .. ومن حين لآخر يلقى نظرة على المنزل .

فى العاشرة مساء سمع صوت جرس يدق .. نهض إلى النافذة ليرى ما هنالك ، فوجد الأقفال تفتح والأبواب تنفرج .. ورأى مستر (فاندلير) يحمل مصباحًا ويخرج إلى البوابة ..

ثم رآه يقتاد شخصًا له مظهر متواضع إلى داخل الدار . وبعد نصف ساعة رآه يخرج مرة أخرى ويقوده للخارج .. ثم وقف يدخن سيجارًا وهو شارد الذهن .. حركاته وهو ينفض التبغ توحى بأن هناك تفكيرًا مؤلمًا يشغل وجدانه ..

ولم يلبث أن دوى صوت فتاة شابة تناديه ، فألقى بعقب السيجار على الأرض ودخل إلى المنزل ، ومن جديد انغلق الباب وساد الظلام .

استيقظ (فرنسيس) فى الصباح ، وكل عظمة من جسده تؤلمه .. فنوم الليل على الأرض لم يكن مريحًا ، وحين نظر إلى المنزل ذى الستائر الخضراء وجد الستائر مرفوعة ، وإذا بفتاة شابة تبرز من الباب لوهلة ثم تعود إلى الداخل .. وهلة لكنها كانت كافية كى يدرك أنها جذابة جدًّا ..

بدأت معنوياته تتحسن ، وشعر بأن أسرته القادمة تستحق منه الاهتمام .. ترى هل الفتاة أخته أم زوجته القادمة ؟ إنها أقرب لملاك متنكر منها إلى أى شىء آخر ..

استشار البواب ، وكان لدى هذا الأخير القليل جدًا مما يقدمه ..

الجار هو سيد إنجليزى له طبائع غريبة وعادات أغرب .. لديه مجموعات ثمينة فى داره لهذا يحيطها بهذا الغموض ويقيها من الآخرين .. ليس لديه صداقات سوى بعض الزوار الغرباء الذين يجرى تعاملات معهم ..

ثم إن هناك الآنسة وخادمة عجوز .. فقط ..

- « هل الآنسة هى ابنته ؟ »

- « نعم .. إن المودموازيل هى ابنة البيت .. وبرغم ثرائهم فإنها تذهب إلى السوق يوميًا بنفسها حاملة السلة فى ذراعها .. »

- « وما المجموعات التى يحتفظ بها الرجل ؟ »

- « مسيو (فاندلير) سافر لكل أرجاء العالم وقد سمعت أنه يجمع الماس ولو كان هذا حقًا فلابد أن هناك عرضًا مبهرًا بالداخل ! »

وفى صباح الأحد اتجه (فرانسيس) إلى المسرح ..

كان المقعد الذى تم حجزه له يبعد ثلاثة مقاعد عن

الممرّ الأيسر جوار إحدى المقصورات المنخفضة .. لم يساوره شك فى أن هذا المقعد تم اختياره بعناية لغرض ما .. ونظر للمقصورة على يمينه فأدرك أن من يجلس فيها قادر على مراقبته بدقة طيلة العرض ، دون أن يراه (فرانسيس) إلا بصعوبة ..

كان الفصل الثانى يدنو من نهايته ، حين دخل شخصان فى الظلام ليجلسا فى هذه المقصورة .. كان هذا هو مستر (فاندلير) وابنته ! وبصعوبة تحاشى (فرانسيس) النظر نحوهما ، لكن أذنيه كانتا تصفران .. ولم يجرؤ على الحركة كى لا يثير الشكوك .. لكنه حين كان يختلس النظر من لحظة لأخرى كانت عيناه تلتقيان بعينى الفتاة .. احمرت الدنيا أمام عينيه ..

ما الذى لا يعطيه مقابل سماع مايقوله هذان الاثنان ؟ ما الذى لا يعطيه مقابل السماح له بأن ينظر نحوهما مباشرة ؟

هناك يتم تحديد حياته كلها .. بينما هو عاجز عن التدخل .. عاجز عن المشاركة .. مرغم على الجلوس ها هنا متوترًا ..

انتهت المسرحية .. ووجد نفسه وسط زحام الناس يتجه مرغمًا إلى الخارج ..

فى الصباح وقف ينتظر الآنسة (فاندلير) فى أثناء ذهابها للسوق ..

فى الساعة الثامنة رآها .. كانت ذات طابع أرستقراطى سام .. والسلة فى ذراعها بدت له كنوع من الزينة شديدة البهاء .. كأنما الظلال تفسح لها الطريق والشمس تتبعها فى أثناء مشيها .

دنا منها وناداها باسمها ...

التفتت لترى من هو .. فشحب وجهها .. قال لها :

- « سامحينى .. إن السماء تعرف أننى لم أرد إفزاعك .. ومن العسير أن يفزع المرء حين يلقى من يتمنى له كل خير .. إن لدينا أمورًا مشتركة .. وأنا واقف فى الظلام وحدى .. ولا أعرف مَنْ أصدقائى ولا مَنْ أعدائى .. »

قالت :

- « أنا لا أعرفك .. »

- « بل تعرفيننى يا مس (فاندلير) خيرًا مما أعرف نفسى .. قولى لى من أنا .. قولى لى اسم أبى ولسوف أشعر بامتنان عظيم .. »

قالت :

- « لن أحاول خداعك .. أنا أعرف من أنت لكنى لا أملك حرية الكلام .. »

- « إذن لن أضغط عليك .. فقط لا تدعينى أحسب أننى أضفت عدوًا جديدًا إلى أعدائى .. »

- « لم تفعل سوى ما هو طبيعى .. والآن وداعًا ! »

- « هل هو الوداع إذن ؟ »

- « لا .. لا أعرف هذا .. أردت الوداع للحظة الحاضرة فحسب .. »

قالت هذه الكلمات ورحلت ..

عاد لمسكنه وواصل مراقبته .. وهنا رأى (جون) مع رجل آخر ..

كانت المرة الأولى التى يرى فيها جنرال (فاندلير) .. كان رجلًا له سمات العسكريين يشبه أخاه إلى حدّ ما .. لكنه يفتقر إلى المظهر الأرستقراطى القوى الفخم حتى بدا ككاريكاتور إلى جوار أخيه ..

كان الرجلان جالسين إلى منضدة فى الحديقة التى أمام المنزل .. وقد تقارب رأساهما وراحا يتحدثان بصوت خفيض لم يسمع منه حرفًا بالطبع من مكانه .. إلا أنه أدرك أن المحادثة كانت عنيفة .. وذات مرة صاح الجنرال فى عصبية :

- « (فرنسيس فاندلير) ! أقول لك هذا ! »

ما معنى هذا ؟ هل يتحدثان عنه ؟ من جديد يتجدد الشجار .. ثم صاح الجنرال :

- « زوجتى ؟ لقد انتهى أمر زوجتى .. ولن أعود إلى هذه السيرة أبدًا ! »

ثم انصرف غاضبًا ..

وجلس (جون فاندلير) وحده يضحك .. ضحكة شيطانية مريبة حقًا ..

جاء موعد العشاء ..

ولاحظ (فرانسيس) أن هناك استعدادات معينة تجرى فى الحديقة .. وأن المائدة التى كان الرجلان جالسين إليها قد وضعت جانبًا ، لتكون عليها أطباق فارغة وأطباق سلاطة كأنما مأدبة يتم إعدادها ..

ثم وصل مستر (رولز) .. كان صموتًا خفيض الصوت إذا تكلم .. على حين برز (جون فاندلير) فبدا صاخبًا مرحًا ، وراحت ضحكاته تدوى فى السكون .. وجاءت مس (فاندلير) حاملة وعاء الحساء ، فراح مستر (رولز) يعاونها .. وعامة ساد جو من المرح المكان ..

وبدأ العشاء ، وتعالى صوت الملاعق والأشواك ..

وجاء موعد القهوة .. ورأى (فرانسيس) مستر (فاندلير) يصبّ قدحين منها .. ثم - وهو يدير ظهره للاثنين - يفرغ محتويات قارورة صغيرة فى أحد القدحين .. كان تصرفًا سريعًا جدًا حتى إن (فرانسيس) كاد لا يلاحظه .. ثم إن (فاندلير) عاد بالقدحين والضحكة على شفتيه ..

أحس (فرانسيس) أن هناك لعبة قذرة تدور ها هنا .. كان بحاجة إلى التدخل ، ولكن كيف ؟ ربما لم يكن ما حدث شيئًا مهمًا .. شعر بالعرق يغمر جسده .. والحيرة تمزقه ..

ومرت دقائق ..

فجأة سمع صوت زجاج يتهشم .. ثم صوت سقوط جسد وصرخة .

صرخت مس (فاندلير) :

- « ماذا فعلت ؟ لقد مات ! »

همس الرجل بصوت مسموع واضح :

- صمتًا ! إنه بخير حال مثلى .. فلنحمله معًا .. »

لكنها واصلت البكاء .. فعاد يقول :

- « هل سمعت ؟ أم تريدين الشجار معى ؟ »

- « إنها جريمة ! »

- « وإننى أبوك ! »

وعندها رأى (فرنسيس) الأب والابنة يحملان جسدًا ويترنحان .. كان القس شاحبًا يتأرجح رأسه فى كل خطوة ..

لم يستطع (فرنسيس) معرفة هل هو حى أم ميت .. لقد وقعت جريمة كبرى .. وربما كان فاعلها هو أبوه .. والقس على الأرجح ميت ..

وشعر بشعور عارم من الحنان الأبوى .. إن واجبه هو أن يعين أباه سواء كان مخطئًا أم مصيبًا ..

ولم يدر كيف ولا متى وثب من النافذة متشبثًا بالأشجار ليهبط إلى الحديقة ..

واندفع نحو المنزل وفتح الباب ..

كان مستر (فاندلير) محنيًا على جسد مستر (رولز) ، فما إن رأى (فرنسيس) حتى تصلّب .. وفي ثانية واحدة مدّ يده إلى صدار (رولز) فأخرج شيئًا .. ثم ناوله لابنته سريعًا ..

تم كل هذا وقدم (فرنسيس) مازالت على الباب .. وفى اللحظة التالية جثا على ركبتيه أمام (فاندلير) وقال :

- « أبتاه ! دعنى أساعدك .. عاملنى كابنك ولتجدن عندى إخلاص الابن .. سأفعل ما تأمر به دون أسئلة ! »

كانت استجابة الرجل الأولى هى حشد من الشتائم :

- « أب وابن ؟ ابن وأب ؟ ما هذه الكوميديا العجيبة ؟ وبحق السماء من أنت ؟ »

هنا التمع النور على وجه (فرنسيس) ، فضحك الرجل عاليًا :

- « أرى ! إنه (سكريمجور) ! حسن .. دعنى أقل



كان مستر (فاندلير) محنيًا على جسد مستر (رولز) ، فما إن رأى (فرنسيس) حتى تصلَّب ..

لك إنك قد دخلت منزلى عنوة ، وفى لحظة ضيق بالنسبة لى ؛ لأن ضيفى قد فقد وعيه .. أنتَ لست ابنًا لى .. أنت ابن أخى لو أردت أن تعرف هذا .. وواضح من تصرفاتك أن عقلك ليس أفضل حالاً من مظهرك .. ولو لم أكن مشغولاً لعاملتك أسوأ معاملة ممكنة .. لهذا أنصحك بالرحيل حالاً .. »

راح (فرنسيس) يصغى فى ضعة حقيقية .. ولو كان بوسعه الرحيل لفعل ، لكنه وقف يصغى فى حماقة إلى ما يقال .

قالت مس (فاندلير) :

ـ « أبى .. أنت غاضب .. لكن نوايا مستر (سكريمجور) حسنة .. »

قال (فاندلير) :

ـ « أشكرك على الكلام .. لقد ذكرتنى بنقطة أخرى أريد قولها لمستر (سكريمجور) .. لقد كان أخى أحمق ليمنحك هذا المعاش .. وأحمق لأنه اقترح أن نزوجك هذه الشابة .. لقد تم عرضك عليها فى المسرح .. وأقول إنها رفضت الفكرة باشمئزاز .. ودعنى أضف أن لى تأثيرًا على أبيك .. ولن يكون

ذنبى أنك ستحرم من معاشك ، وتعود لدارك قبل انصرام الأسبوع ! »

كان صوت الرجل جارحًا أكثر مما يقول ..

وشعر (فرنسيس) بأنه يعانى أقسى وأعنف احتقار فى حياته .. غطى وجهه بكفه كاتمًا أنة ألم .. لكن الفتاة وقفت معه من جديد :

- « لا يجب أن تضايقك تعبيرات أبى الجارحة .. أنا لم أنفر منك بل العكس .. وقد زادتنى أحداث الليلة تقديرًا لك .. »

هنا حرك مستر (رولز) ذراعه .. فأدرك (فرنسيس) أن الرجل مخدَّر فقط .. انحنى مستر (فاندلير) وتفحص وجهه صائحًا :

- « هلم .. هلم ! لينته هذا كله .. والآن يا مس (فاندلير) ما دمت متحمسة له هكذا .. فلتحملى شمعة وتقودى هذا الوغد إلى الخارج .. »

خرج معها الفتى إلى الحديقة ، ممزق الروح والجسد .. قال لها :

- « أشكرك من روحى .. لقد كانت أسوأ ليلة فى حياتى .. »

ثم إنه سألها تذكارًا منها .. فتفكرت هنيهة ثم قالت :

- « لو أننى وافقت .. أتعدنى بأن تنفذ حرفيًا ما أطلبه منك ؟ »

- « حتمًا .. »

- « عدنى ألا تعود لهذا المنزل أبدًا مهما سمعت ومهما عرفت .. اتجه إلى شوارع المدينة المزدحمة وكن حذرًا .. أنت فى خطر لا يمكن تصوره »

ووضعت شيئًا ملفوفًا بمنديل فى يده ودفعته إلى الشارع ، وأوصدت الباب وراءه ، وعلى الفور بدأ فى الركض .

★ ★ ★

لو كان (فاندلير) هو الأقوى فإن (فرنسيس) هو الأسرع ..

وقد ركض هذا حتى وصل إلى (كافى أميريكان) ، وطلب بعض الجعة .. ثم أخرج المنديل من جيبه ليتفحص تذكار مس (فاندلير) .

وجد علبة مغربية بداخلها أكبر ماسة رآها فى حياته .. إن قيمتها لهائلة .. وشعر بحيرة وهو ينظر إليها ..

هنا شعر بيد حازمة توضع على كتفه ، وصوت هادئ يقول :

ـ « أغلق العلبة واستعد هدوء قسماتك ! »

نظر لأعلى ليجد رجلاً شابًا له هيئة مطمئنة .. كان قد جاء من مائدة قريبة حاملاً كأسه .. ومرة أخرى قال :

ـ « حاول أن تتخلص من ذهولك وتصرف كأننى أحد معارفك .. حسن ! هكذا .. اقرع كأسك بكأسى .. أخشى يا سيدى أنك من الهواة ! »

قالها بابتسامة ذات معنى .. وأشعل سيجارًا ..

سأله (فرنسيس) :

ـ « بحق السماء من أنت ؟ ولماذا أطيعك ؟ إن وجهك يلهمنى بالثقة وتبدو لى حكيمًا .. فماذا تريد ؟ »

ـ « كل شىء فى وقته .. يجب أن تخبرنى كيف وصلت ماسة الراجا إلى حوزتك ؟ »

ـ « ماسة الراجا ؟! »

ـ « لو كنت مكانك لما تكلمت بهذا الصوت العالى .. لقد تعاملت معها كثيرًا .. حين كانت فى حوزة الجنرال (توماس فاندلير) .. »

ـ « أبى ؟ »

ـ « غريب ! أبوك ؟ »

كان الفتى يشعر بأنه ـ مع هذا الرجل ـ يقف على أرض ثابتة ، وشعر بالاحترام يفعم صدره .. هنا سأله الرجل :

ـ « هل لك أن تفسر لى كيف سرقت هذا الشىء ؟ »

ـ « ليس معى شىء مسروق .. لقد منحتنى إياه منذ ساعة المس (فاندلير) فى (رودى لابيك) .. »

ـ « إنك تثير اهتمامى .. »

هنا تذكّر الفتى أن هذه العلبة هى بالتأكيد ما أخذه (فاندلير) من ضيفه بعد تنويمه .. وحكى للغريب كل شىء ..

ما إن فرغ من قصته حتى نادى الغريبُ الساقى .. وطلب منه :

ـ « هل لك أن تسأل المدير أن يحضر لهذه المائدة ...؟ »

ولاحظ (فرنسيس) أن نبرته نبرة رجل ألف إصدار الأوامر ..

وجاء المدير بعد دقيقة لينحنى أمام المائدة .. فقال له الرجل :

- « أرجو أن تخبر هذا السيد باسمى .. »

قال المدير :

- « إن لك الشرف يا سيدى أن تجلس على مائدة الأمير (فلورتيزل) أمير (بوهيميا) .. »

نهض (فرنسيس) مذهولاً ، لكن الأمير أشار له بالعودة إلى مقعده ، وللمدير بالعودة لعمله .. ثم مدّ يده لـ (فرنسيس) :

- « أعطنى هذه الماسة .. »

ناوله (فرنسيس) الماسة دون أن ينطق .. فقال الأمير :

- « الصواب ما فعلت .. وستعيش لتشعر بالعرفان لأحداث الليلة .. الرجل يقع فى مشاكل عديدة ، لكن العاقل الشجاع هو من يخرج منها فى شرف .. دع عقلك يسترح لأن مشاكلك فى يدى .. ولتكونن نهايتها سعيدة .. »

ونهض الأمير مع الشاب .. ليقوده إلى عربته الفاخرة .. وقال له :

- « هذه عربتى وهى تحت تصرفك .. اجمع متاعك ولسوف تأخذك العربة إلى فيللا خاصة بى خارج (باريس) ، تقيم بها حتى ينتهى الأمر .. »

تفوه (فرنسيس) ببعض عبارات العرفان .. فقال الأمير :

- « سيكون هناك وقت كاف لشكرى حين يعترف بك أبوك ، وتتزوج مس (فاندلير) .. »

ثم فارقه الأمير ، وأوقف أول سيارة أجرة وركبها .. بعد ربع ساعة وصل إلى دار مستر (فاندلير) .. فقرع الباب .. برز وجه مستر (فاندلير) الحذر يسأله من أنت ؟

- « أرجو أن تغفر لى هذه الزيارة المتأخرة يا مستر (فاندلير) .. »

كان هناك اثنان بالداخل .. أحدهما (رولز) والآخر هو مس (فاندلير) نفسها التى تغمر الدموع عينيها .. فحياهما ..

سأل المستر (فاندلير) :

- « أى ريح طيبة أتت بسموكم هاهنا ؟ »

- « جئت لعمل معك .. »

ثم اتجه ليجلس تاركًا الباقين واقفين .. كأنما هم خدم عنده يتلقون الأوامر .. وأردف :

ـ « أنت يا مستر (رولز) تصرفت دون شرف .. أما أنت يا مستر (فاندلير) فيداك ملوثتان بالجريمة .. كلا .. أنا هنا لأتكلم لا لأصغى .. لذا عليك أن تسمعنى باحترام وتطيعنى .. لسوف تزوج ابنتك إلى صديقى (فرنسيس سكريمجور) ابن أخيك ، وتقدم لها عشرة آلاف دولار كدوطة .. أما أنت يا مستر (رولز) فإن لى عملاً لك كواعظ فى (سيام) .. أعتقد أن صمتك يا (فاندلير) يعنى الموافقة .. »

نظر له الرجلان فى دهشة .. ثم قال (فاندلير) :

ـ « ليس دون مقاومة منى .. »

قال الأمير :

ـ « إن سنك الكبيرة لم تعطك حكمة .. فلا تستفزنى وإلا وجدتنى أقسى مما تتصور .. إن هذه أول مرة أصطدم فيها بك وأنا غاضب .. فاحرص على أن تكون آخر مرة .. »

ثم أشار إلى (رولز) كى يمشى معه إلى الحديقة .. وتبعهما (فاندلير) بشمعة كى يفتح لهما البوابة ..

كان صامتًا لكنه ـ ما إن أدار الأمير ظهره له ـ حتى أتى بحركة من يده ، كلها تهديد وغضب مجنون ..

ثم إنه غادر الدار بدوره قاصدًا أقرب موقف لعربات الأجرة ..

يقول الراوى العربى : وهكذا ينتهى خيط الأحداث عن المنزل ذى الستائر الخضراء .. بقيت مغامرة أخيرة وتنتهى قصة (جوهرة الراجا) .. إن آخر حلقة فى السلسلة معروفة لدى ساكنى (بغداد) باسم (مغامرة الأمير فلوريتزل مع المخبر) .

* * *

مغامرة الأمير (فلوريتزل) مع المخبر

مشى الأمير مع مستر (رولز) إلى باب الفندق الذى يسكنه الأخير ..

كان (رولز) يشعر بندم ، جعل العبرات تحتشد فى عينيه .. وهو يقول :

ـ « لقد دمرتُ حياتى .. قل لى ما يجب أن أفعله .. واحسرتاه ! ليست لدى فضائل الرهبان ولا شرور المجرمين .. »

قال الأمير :

ـ « لن أطالبك بشىء .. فالتائب يتعامل مع اللـه لا مع الأمراء .. لكن لو كان لى أن أنصحك ، فلتذهب إلى (أستراليا) واعمل فى المستعمرات هناك .. وحاول أن تنسى أنك كنت رجل دين ، أو وضعت عينيك على تلك الماسة اللعينة .. »

ـ « لعينة حقًا ! أين هى الآن ؟ وأى أذى تحدثه للبشرية ؟ »

ردّ الأمير :

ـ « لا مزيد من الأذى .. إنها فى جيبى الآن .. »

وابتعد عن الرجل ليذوب فى الظلام ، أمام عينيه الدامعتين ..

لمدة ساعات راح الأمير يجوّل فى الدروب .. عقله حائر بصدد ما يجب عمله بهذه الماسة .. هل يعيدها لمالكها الذى لا يستحقها .. أم يقوم بعمل شجاع ويبعدها عن كل البشر للأبد ؟

أخرج الماسة وراح يتأملها فى ضوء الشارع .. حجمها وتألقها جعلاه يدرك أكثر فأكثر أنها الشر النقى مجسدًا ..

ـ « فليغثنى اللّه ! لو أننى نظرت إليها أكثر لغلبنى الجشع أنا الآخر ! »

فى النهاية عاد إلى داره ..

كاد يدخل من الباب الخلفى كديدنه ، حين وجد رجلاً يخرج من الظلام وينحنى باحترام سائلاً :

ـ « هل لى شرف مخاطبة الأمير (فلورتيزل) أمير (بوهيميا) ؟ »

ـ « كذا أُدعى .. فماذا تريد ؟ »

- « أنا مخبر .. ومطلوب منى استدعاء سموكم لمقابلة المأمور .. إنه مجرد إجراء روتينى .. »

- « وماذا إذا أبيت أن أتبعك ؟ »

- « لن أخفى على سعادتكم أننى مخول بحرية التصرف .. »

قالها وانحنى .. فسأله الأمير :

- « وهل لك أن تشرح لى سبب هذا الفعل غير المهذب ؟ تلاحظ أننى لم أرفض ولم أقبل .. وقرارى يعتمد على إجابتك السريعة الحاذقة ، ودعنى أذكرك أن الأمر جدّ خطير .. »

قال المخبر بتواضع :

- « سيدى .. إن جنرال (فاندلير) وأخاه لديهما اعتقاد لا يصدق بأنهما يتهمانك بالسرقة .. ويقولان إن الماسة الشهيرة فى يديك .. ولسوف يكفى المأمور كلمة إنكار منك .. »

هنا - إذ سمع اسم (فاندلير) - عرف الأمير الحقيقة المروعة .. فهو لم يتم القبض عليه فحسب بل هو كذلك مذنب ! إن هذه لكارثة على شرفه .. ماذا عساه أن يفعل ؟ إن ماسة الراجا منحوسة حقًا ، ويبدو أنه آخر ضحية لها .

شىء واحد مؤكد .. هو لن يعطى التأكيد المطلوب للمخبر وعليه أن يكسب وقتًا .. ولم يستمر تردده سوى ثانية ..

قال للمخبر :

- « حسن .. دعنا نمش إلى المأمور .. »

انحنى الرجل ثانية .. ومشى وراء الأمير بمسافة محترمة .. فقال له هذا :

- « ادنُ .. فأنا فى مزاج للحديث .. »

ومشيا يثرثران .. حتى وصلا إلى منتصف الجسر .. فقال الأمير :

- « نحن هنا فوق الجسر .. فلترح مرفقيك على السور وتنظر .. فكما يجرى الماء تحتنا تجرى الشهوات ومتاعب الحياة ، حاملة معها أمانة الشخص الضعيف .. دعنى أحكِ لك قصة .. »

- « إننى أتلقى أوامر سموكم .. »

وانحنى على الجسر يرمق المدينة النائمة وهو يصغى للأمير :

- « كان هناك ضابط - رجل شريف - رأى ماسة نادرة لدى أمير هندى .. بالتالى لم يعد يرغب فى

شىء سوى الظفر بها ، حتى لو ضحى بشرفه .. بسمعته .. بحبه للوطن .. لذا راح يخدم سيده الجديد بكل وسيلة .. خان وطنه .. وترك زملاءه يُذبحون .. وفى النهاية عاد بالماسة وثراء فاحش ..

« ومرت السنون ، وضاعت الماسة لتقع فى يدى رجل دين شاب واعد ، فترك كل شىء وفرّ بالماسة إلى بلد بعيد .. وتعاون مع أخ الضابط الأول ، وقررا اقتسام الماسة .. لكن الأخ كان يريد الماسة اللعينة لنفسه .. من ثم خدّر رجل الدين وسرقها .. وفى النهاية ضاعت الماسة لتصير فى حوزة رجل عالى المكانة ..

« اسم الضابط هو (توماس فاندلير) .. والماسة هى ماسة الراجا .. وها هى ذى ! »

ورأى المخبر الماسة فأطلق صرخة .. بينما استطرد الأمير :

- « بالنسبة لى هذه الجوهرة شىء مقيت .. مقيت كما لو كانت الديدان تزحف عليها .. ترجفنى كأنما تم صنعها من دم الأبرياء .. تلتمع بنار الجحيم .. وأنا لم أخبرك سوى بقدر يسير من تاريخها .. والله يعلم

ما حدث فى العصور الخالية بسببها .. إن ملكوت هذه الماسة سينتهى هذه الليلة .. »

وبحركة مفاجئة هوت الماسة إلى النهر ، محدثة رذاذًا من الماء ..

صرخ المخبر :

- « فليسامحنى الله ! ماذا فعلت ؟ لقد خربت بيتى ! »

ثم صرخ بعد ثانية صمت :

- « واحسرتاه ! لقد أفسدت حياتى يا سمو الأمير ! »

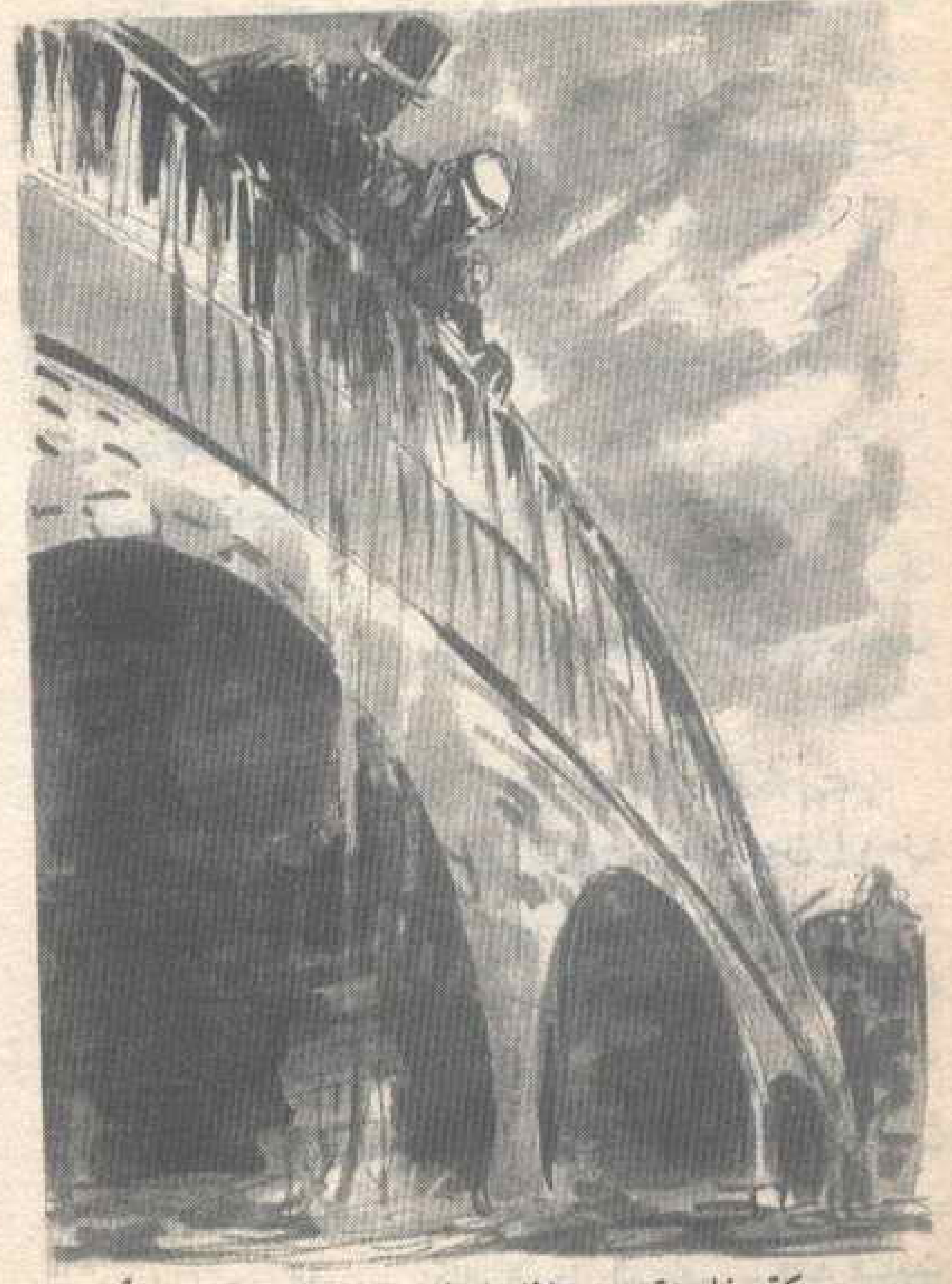
قال الأمير :

- « لم يكن من هذا بُدّ .. والآن لنمض إلى المخفر .. »

★ ★ ★

لم يمرّ وقت طويل إلا وتزوج (فرنسيس) مس (فاندلير) ، وكان الأمير هو شاهد العريس .. وراح الأخوان (فاندلير) يتسليان بالغطس فى نهر (السين) بحثًا عن الماسة .. وقد صار غطسهما من فكاهات المدينة ، لكن الرجلين لم يعرفا أنهما اختارا الفرع الخطأ من النهر ..

أما عن الأمير - ذلك الرجل السامى - فقد قامت



وبحركة مفاجئة هوت الماسة إلى النهر ، محدثة رذاذاً من الماء

ثورة فى (بوهيميا) أقصته عن العرش .. بسبب غيابه المستمر وإهماله لواجبات شعبه .

والآن يدير الأمير متجرًا للسيجار فى شارع (روبيرت) .. وأنا أتردد عليه من آن لآخر لأدخن وأثرثر معه .. وأجده ما زال عظيمًا كأيام مجده .. ويمكننى أن أقول إنه أوسم بائع تبغ فى (لندن) كلها .



نـادى الانتحـار

« ملعونـة هـى الحياة التى لا يستطيع المرء فيها أن يموت دون أن يدفع مالاً ! »

حكاية الشاب ذى الكعكات المغطاة بالقشدة

خلال إقامته فى (لندن) ، نال الأمير (فلورتيزل) أمير (بوهيميا) إعجاب كل الطبقات ، بسبب جاذبية طباعه وكرمه الملحوظ .. كان رجلاً مرموقًا بحكم منصبه .. برغم أن هذا كان جزءًا ضئيلاً من شخصيته ..

كان قد اعتاد أن يتقبل العالم كما هو كأى فلاح بسيط ، لكنه كان يتذوق المغامرات ، وأساليب الحياة التى تختلف كثيرًا عن تلك التى رسمها له مولده ..

ومن آن لآخر كان يشعر بالضيق حين لا تعرض مسرحية ضاحكة فى أى من مسارح (لندن) .. وحين لا يناسب الطقس ممارسة الرياضة التى يهزم فيها كل منافسيه ؛ من ثمَّ ينادى الكولونيل (جيرالدين) - رئيس الفرسان المخلص - ويطلب إليه أن يعدّ لأمسية مثيرة ..

كان (جيرالدين) ضابطًا شابًا جريئًا ، يستقبل الأنباء فى حبور .. ويهرع ليعدَ للأمر عدته .. فقد علمه المران كيف يجيد التنكر .. وغدا قادرًا على تغيير أفكاره ذاتها لتناسب تنكره .. وبالتالى صار بوسعه أن يدخل مع سيده أغرب الأماكن طرًا .

لم تعلم السلطات المدنية بسرَ هذه المغامرات ، لأن شجاعة أحد الرجلين وإخلاص الآخر أنقذهما من مآزق كثيرة شديدة الخطر ..

فى ذات ليلة من (مارس) دخلا - بسبب المطر - إلى حانة تُدعى (بار أويستر) وهى دانية جدًا من ميدان (ليستر) ..

تنكر (جيرالدين) فى شكل صحفى فاشل فقير ، بينما وضع الأمير لحية وحاجبين كثين جعلا مظهره كمن لوحته الشمس .. وجلسا يرشفان البراندى والصودا فى أمان ..

كانت الحانة تعج بأحط الطبقات طرًا فى (لندن) .. وكان الجو مملاً عامة .. لكن فجأة فتح الباب ، ودخل الحانة شاب معه رجلان .. وقد حمل الثلاثة أطباقًا ملأى بالكعك المغطى بالقشدة .. وراح يدور على

الحاضرين سائلاً كلاً منهم أن يقبل كعكة .. فكان هناك من يأبى وهناك من يقبل وهناك من يسخر .. عندئذ كان الفتى يلتهم الكعكة ضاحكًا ..

ودنا الفتى من الأمير وانحنى عارضًا عليه كعكة .. فقال الأمير :

- « إن مجاملتك تؤثر فى .. لكنى لن أقبلها ما لم تقبل دعوتى إلى العشاء ، على سبيل التعويض عن التهامنا هذا الكعك الذى لا نميل إليه .. »

قال الفتى بعد تفكير :

- « الحق أن لدىَ كعكًا كثيرًا يجب توزيعه .. ولسوف أمر على حانات عديدة .. لهذا أخشى أن تكونا جائعين .. »

قال الأمير :

- « بل سأصحبك وصديقى .. لأننا مهتمان بأسلوبك المحبب فى إمضاء سهرة .. والآن دعنى أوقع المعاهدة لكلينا .. »

والتهم الأمير كعكته ، وكذا فعل صديقه .. ثم نهضا يتبعان الشاب فى جولته غير العادية على الحانات ..

كانت تسع كعكات قدْ بقيت ، فقال الفتى لزميليه :

ـ « لست راغبًا فى تأخير عشائكما أكثر .. اليوم أنا أنهى حياة حمقاء بعمل شديد السخف .. وبرغم أن بنيتى صارت واهنة بسبب إفراطى فى الملاذ ، إلا أننى سأجازف بحياتى لإنهاء مشكلة الكعك الباقى .. »

وعلى الفور التهم الكعكات التسع الباقية .. ثم نقد الحمالين أجرهما .. وأعلن أنه جاهز لتناول العشاء ..

وفى مطعم صغير فى حى (سوهو) راح الرجال الثلاثة يلتهمون عشاءً فاخرًا مع كثير من الشمبانيا .. كان الفتى مرحًا لكن ضحكاته كانت أعلى مما ينبغى .. ثم إن يديه كانتا ترتجفان ..

سأله الأمير وقد أشعل كل منهم سيجارًا :

ـ « أمقت أن أبدو متطفلاً .. إلا أننى وصاحبى لخليقان بأن نحفظ السر .. فإذا كانت حكايتك سخيفة فاطمئن .. فإننا من أسخف رجال (انجلترا) .. إن اسمى هو (جودول) وصاحبى هو الميجور (ألفريد هامرسميث) .. وقد كرسنا جلّ حياتنا للبحث عن كل ما هو شاذ وغريب .. »

قال الشاب ، وقد بدأ يتحمس :

ـ « سأروى القصة كى لا أخيب أملكما .. لكن اسمى سيظل سرًا .. إننى ورثت عن جدودى مبلغ ثلاثمائة جنيه كل عام ، وبيتًا جميلاً ، ومعهما ورثت شغفًا هائلاً بالمرح .. إننى أجيد لعب الورق بما يسمح بأن أخسر مائة جنيه سنويًا .. وأجيد الفرنسية بما يسمح لى بأن أضيع مالى فى باريس كما أضيعه هنا .. ثم إننى مارست المبارزة مرارًا !

« لقد بددت مالى تبديدًا مرعبًا .. حتى لم يعد فى ثروتى سوى ثمانين جنيهًا لا أكثر ! فأبقيت أربعين لغرض ما .. وبددت اليوم أربعين فى مرح ومزاح .. آخره دعابة الكعك المغطى بالقشدة هذه ..

« كنت عازمًا على أن أنهى حياتى الحمقاء بنهاية سخيفة .. والآن أنا مفلس أخرق تمامًا .. فقد انتهى آخر جنيه معى .. »

قال الأمير :

ـ « صدقنى إننى لمتأثر بهذه الصدفة .. ولسوف أحذو حذوك حالاً ! »

وأخرج كيس ماله فحفن حفنة من الجنيهات .. انتقى منها عددًا وضعه على المائدة لدفع الحساب ، ثم رمى بالباقى فى نيران المدفأة ..

حاول الفتى أن يمنعه لكنه لم يستطع فصاح فى جنون :

ـ « أيها التعس ! ما كان لك أن تحرقها كلها .. كان ينبغى أن تبقى على الأقل أربعين جنيهًا ! »

تساءل الكولونيل :

ـ « ولماذا يُبقى أربعين جنيهًا ؟ لماذا ليس ثمانين أو مائة مثلاً ؟ »

قال الفتى فى قنوط :

ـ « لأنه لا يستطيع الدخول دون أربعين جنيهًا .. ملعونة هى الحياة التى لا يقدر المرء فيها أن يموت دون أن يدفع مالاً ! »

تبادل الأمير والكولونيل النظرات ..

أخيرًا قال الكولونيل :

ـ « ليتك توضح أكثر .. فما زال معى مالى .. لكن علىَّ أن أعرف أولاً معنى كلامك هذا .. »

نظر الفتى إليهما حائرًا .. ثم تساءل :

ـ « هل تمزحان معى ؟ هل كلاكما يائس قانط مثلى حقًا ؟ »

قال الأمير :

ـ « حسبك أن رأيت الدليل .. فلا أحد يرمى بمائة جنيه فى النار مالم يكن يائسًا قانطًا .. »

ـ « مالم يكن يائسًا أو .. أو مليونيرًا ! »

ـ « لقد قلت إننى يائس .. ولا أحب أن يشكَّ أحد فى كلامى .. »

ـ « أحقًا أنت مستعد أن تفعل الشىء الأخير الباقى لك ؟ هل ستلج الباب الوحيد المفتوح أمامك لتفرّ من لوم ضميرك ؟ »

قال الكولونيل فى نفاد صبر :

ـ « نحن مثلك سئمنا الحياة ونطلب الموت .. وقد شاء الحظ أن نلقاك .. فليكن لنا موعد مع الموت الليلة .. ثلاثة من القانطين يرحلون معًا إلى العالم الآخر ! »

كان (جيرالدين) يؤدى دوره ببراعة حقة ، حتى إنه خدع الأمير ذاته ، واحمر وجه الشاب وقال فى حماس :

ـ « أنتما من تناسبانى ! فلنتصافح من أجل الصفقة ! »

ثم أردف وهو يصافحهما :

ـ « قد قادكما حظكما السعيد إلىّ .. فإننى أعرف باب الموت السرّى كما لا يعرفه سواى .. هل لديكما ثمانون جنيهًا ؟ حسن ! إن رسم الدخول إلى نادى الانتحار أربعون جنيهًا ! »

ـ « نادى الانتحار ؟ ما هو بحق السماء ؟ »

قال الشاب :

ـ « حسن .. هذا هو عصر الرفاهية والترف .. لدينا كل شيء من السكك الحديدية إلى المصاعد إلى التلغراف .. لم يكن ينقصنا سوى باب خلفى نغادر به المسرح .. باب إلى الحرية .. وهذا هو ما يقدمه نادى الانتحار ..

إن كثيرين من الناس يرغبون ـ مثلنا ـ فى مغادرة الحياة .. لكنهم لا يفعلون .. إما لأن لهم أسرًا قد يصدمها الفراق .. وإما لأن الخوف يمنعهم من ذلك .. وأنا نموذج على النوع الثانى .. فأنا أمقت الحياة ..

لكنى لست مشتاقًا إلى الموت .. ولا أجرؤ على إطلاق الرصاص على مخى ..

« لسبب كهذا وجد نادى الانتحار .. ولا أستطيع الكلام أكثر .. لكنى قادر على أن أقدمكما إليه الليلة .. ولتكونن نهاية حياتيكما هذا الأسبوع ! »

ثم نظر فى ساعته .. وقال :

ـ « أمامكما نصف ساعة حتى تقررا ! »

وانفرد الأمير بالكولونيل (جيرالدين) .. فقال الأمير إن رأيه قد استقر على رؤية هذا النادى بأى ثمن ..

ـ « ولكن المصلحة العامة يا سمو الأمير .. لو أن مكروهًا أصابكم هذه الليلة فلسوف تحل كارثة عظمى بأمتنا .. »

ـ « سأمضى فى الأمر حتى نهايته .. »

وفى هدوء استدعى الأمير الخادم ، وطلب من الكولونيل أن ينقده ثمن العشاء .. ثم انتقى سيجارًا .. وخرج الرجال طالبين عربة .. وانطلقوا بها إلى ساحة مظلمة .. فترجلوا ودفعوا للحوذى أجره ..

استأذنهما الشاب بضع دقائق حتى يعطى فكرة لمن بالداخل ..

ثم عاد بعد قليل .. وقال لهما :

ـ « هلما ! إن الرئيس بالانتظار .. لكن عليكما أن تصدقاه القول .. فهو يحب أن يتحرى بدقة عن كل عضو جديد .. إن كتمان السرّ مهم فى هذه الجمعيات السرية كما تعلمان .. »

وتهامس الأمير وصاحبه .. واتفقا على أن يؤيد كل منهما ما سيقول زميله .. وهكذا اقتادهما الشاب إلى غرفة صغيرة عالية السقف .. وتركهما حتى يدعو الرئيس ..

كانت أضواء الشارع تتبدى لعيونهما ، مما جعلهما يعتقدان أنهما دانيان من (تشيرنج كروس) .. وكانت الحجرة مكسوة بأثاث رخيص .. وبها قبعات عدة فوق مشاجبها ..

ثم انفتح الباب ودخل رئيس نادى الانتحار ..

كان أصلع الرأس ذا لحية كثة .. فى الخمسين من العمر .. مهيبًا مخيفًا وبين شفتيه سيجار هائل يحركه يمينًا ويسارًا .. وتحت إبطه كتاب .. نظر لهما متسائلاً .. فقال الكولونيل :

ـ « إننا لشديدا الرغبة فى الانضمام للنادى يا سيدى .. »

حرك الرجل السيجار بين شفتيه .. وقال :

ـ « ماذا ؟ نادى ؟ لقد اخطأتما .. فهذا بيت خاص وعليكما أن ترحلا حالاً .. »

قال الأمير فى هدوء :

ـ « سيدى .. دعنى أذكرك أن من هو يائس مثلى ليس لديه ما يخسره .. ولن يقبل هذه المعاملة .. وإننى لأعدك بأن تندم على دخولى هذه الحجرة ، إذا أنت لم تنفذ طلبى الصغير هذا ! »

كان هذا كافيًا لأن المدير انفجر يضحك .. وقال :

ـ « هذا هو الكلام ! لقد لمست قلبى ولسوف يسعدنى أن أستمع إليك ولكنى بحاجة إلى الانفراد بك أولاً .. »

وتم اقتياد الكولونيل إلى حجرة جانبية .. ثم بدأ استجواب الأمير عن سبب رغبته فى الانتحار .. فقال هذا :

ـ « لا شىء سوى فرط الكسل .. وهو السبب الذى أدى لفصلى من الجيش .. أضف لهذا إفلاسى التام ! »

ـ « وزميلك ؟ »

ـ « طرد من الفرقة منذ أيام لأنه غشَّ فى لعب الورق .. »

راح الرجل يرمقه صامتًا دون أن يكف عن مضغ سيجاره .. ثم أمطره بوابل من الأسئلة أجاب عنها الأمير فى ثبات .. وجاء دور (جيرالدين) ليتلقى أسئلة مماثلة .. كان الرجل يبحث عن تناقض بين القصتين ..

ثم جاء دور التوقيع على ميثاق شرف الجمعية .. ويلزم كل عضو بالولاء التام وتنفيذ ما يطلب منه حرفيًا .. فمن ينكث بالعهد يفقد شرفه ويغدُ إنسانًا بلا دين ولا كرامة !

كان هذا عسيرًا بالنسبة للأمير والكولونيل .. لكنهما وقَّعا وهما يشعران بالرجفة والأسى .. ثم اقتادهما الرئيس إلى قاعة الجلوس ..

كان هناك ستة عشر شخصًا حول المدفأة .. يدخنون ويشربون الشمبانيا .. وكان الجو عامةً مرحًا ..

راح الأمير يتأمل الجلوس بعين خبيرة .. وأدرك أنهم شباب فى شرخ العمر أكثرهم ذكى حسَّاس .. لكنهم خالون من القوة التى يمكن بها النجاح فى الحياة ..

بعضهم كان يتحدث بلا انقطاع فى مواضيع تافهة .. ثم يصمت بلا سبب .. وبعضهم كان يدخن فى لهفة ثم ينسى سيجاره حتى ينطفئ .. ثمة جو عام من التوتر والإرهاق العصبى ..

وكان هناك رجل يجلس جوار المدفأة ، يبدو وقد تجاوز الأربعين من العمر ..بدا للأمير أنه أقبح من رأى فى حياته .. إنه هيكل عظمى مكسو بالجلد وعلى أنفه عوينات شديدة السمك ..

كان الشباب المجتمعون يتبادلون عبارات المزاح الثقيل .. ويتبادلون الأنخاب لما مضى من ذكريات ، ويحكون عن أعظم المنتحرين فى الماضى ، ويتراهنون حول العالم الآخر .. هل هو ظلام دامس أم نور يخلب العيون ..

وقال واحد إنه انضم للنادى حين سمع نظرية (داروين) التى تقول إن الإنسان أصله قرد .. فهو لم يتحمل فكرة أن يكون أجداده قرودًا ..

بدا الأمر سوقيًا للأمير .. فلو أراد إنسان أن يقتل نفسه فليفعل ـ بحق السماء ـ كسيد مهذب .. ولا داعى لكل هذه الضوضاء ..

أما الكولونيل فاتجه نحو ذلك الرجل القبيح الجالس جوار المدفأة .. وقدم له نفسه باسم كولونيل (هامرسميث) .. فعرفه الرجل أن اسمه (مالتوس) .. وأنه عضو فى النادى منذ عامين !

عامان ؟ إذن فهذا النادى مزحة ولا خطر هناك .. لكن الرجل قال :

- « بصراحة أنا لا أرغب فى الانتحار .. أنا عضو فخرى هنا .. فالعضو العادى يأتى هنا يوميًا بانتظار أن يصيبه الحظ .. ويأتى دوره .. »

- « وماذا عن الرئيس ؟ »

- « أوه ! إنه شخصية رائعة .. أروع وغد يمكن أن تصادفه يومًا !

وهو عقلية جبارة .. قضى فى (لندن) ثلاثة أعوام ينظم هذا العمل ويرتب الأوراق .. ولم يحدث قط أن السلطات شكت فى الأمر .. فكل سبل القتل هنا تبدو طبيعية تمامًا .. »

سأله الكونيل :

- « لكنك تقول إنك لا تشتهى الموت .. فما سبب حضورك اليومى ؟ »

قال الرجل فى حماس :

- « أنت لا تفهم يا سيدى .. إن هذا النادى هو معبد الإدمان .. حيث تمارس أعتى أنواع الانفعال .. ومن المؤسف أننى غير مؤهل صحيًا كى أستمتع به أكثر من هذا .. لقد جربت كل أنواع اللهو فلم أجد بينها ما يستحق كل هذه الضوضاء .. الخوف هو العاطفة الحقيقة الوحيدة .. الخوف عاطفة قوية تهبنى أعظم ملاذ الحياة .. يمكنك أن تحسدنى يا سيدى الفاضل .. فأنا جبان ! »

شعر الكولونيل باشمئزاز من هذا الجنون كله .. لكنه سيطر على نفسه وواصل الأسئلة .. وهنا اتضح له شىء غير معقول .. إن القُرعة تجرى كل ليلة لاختيار أحد الأعضاء ليلعب دور الضحية .. وأحدهم ليلعب دور القاتل ! أى أنه من الممكن أن ينتخب لقتل الأمير مثلاً !

راح مستر (مالتوس) يرمق انفعال الكولونيل فى استمتاع .. كان يعشق أن يثير اشمئزاز الناس الشرفاء شامخى الكرامة .. فهو كان يعتبر نفسه فى موضع أعلى من هذه العواطف التقليدية ..

ـ « إن نادينا يجمع بين عواطف المقامرة والمبارزة وألعاب السيرك الرومانية .. لقد كان الرومان أساتذة فى فن الانفعال ، لكن المسيحية قد قضت على هذه الألعاب تمامًا .. »

ثم قال :

ـ « والآن هلم نر اللعب عن قرب .. أعرنى ذراعك أتوكأ عليها .. »

ورأى الكولونيل أعضاء النادى يدخلون حجرة مجاورة ..

حجرة فى وسطها مائدة خضراء كموائد القمار ، والرئيس يقف عليها يوزع أوراق اللعب .. قال (مالتوس) :

ـ « إن الآس البستونى يحدد الضحية .. والآس السباتى يحدد القاتل أو الجلاد .. للأسف إن نظرى واهن فلا أستطيع رؤية الورق من هنا .. إلا أن متابعة الوجوه تكفينى على كل حال .. »

كان الأمير واقفًا وسط الحشد .. هادئ الجنان .. وإن كان متوترًا فى أعماقه ، وراح يتابع اللاعبين .. فكان يرى وجوهًا شاحبة منفعلة ، وأيادىَ ترتجف ..

بينما الرئيس يوزع الورق مقلوبًا حول المائدة .. على كل لاعب أن يقلب ورقته ليرى مصيره .. ولكم تردد أحدهم بضع ثوان قبل أن يمدّ يده ليعرف .. أكثرهم حماسًا كان مستر (مالتوس) ..

وجاء الدور على الأمير فمدّ يده ـ وقد تحركت فيه طبيعة المقامر ـ ليرى ورقته .. وكانت (تسعة) .. أما الكولونيل فكانت ورقته (ثلاثة) ..

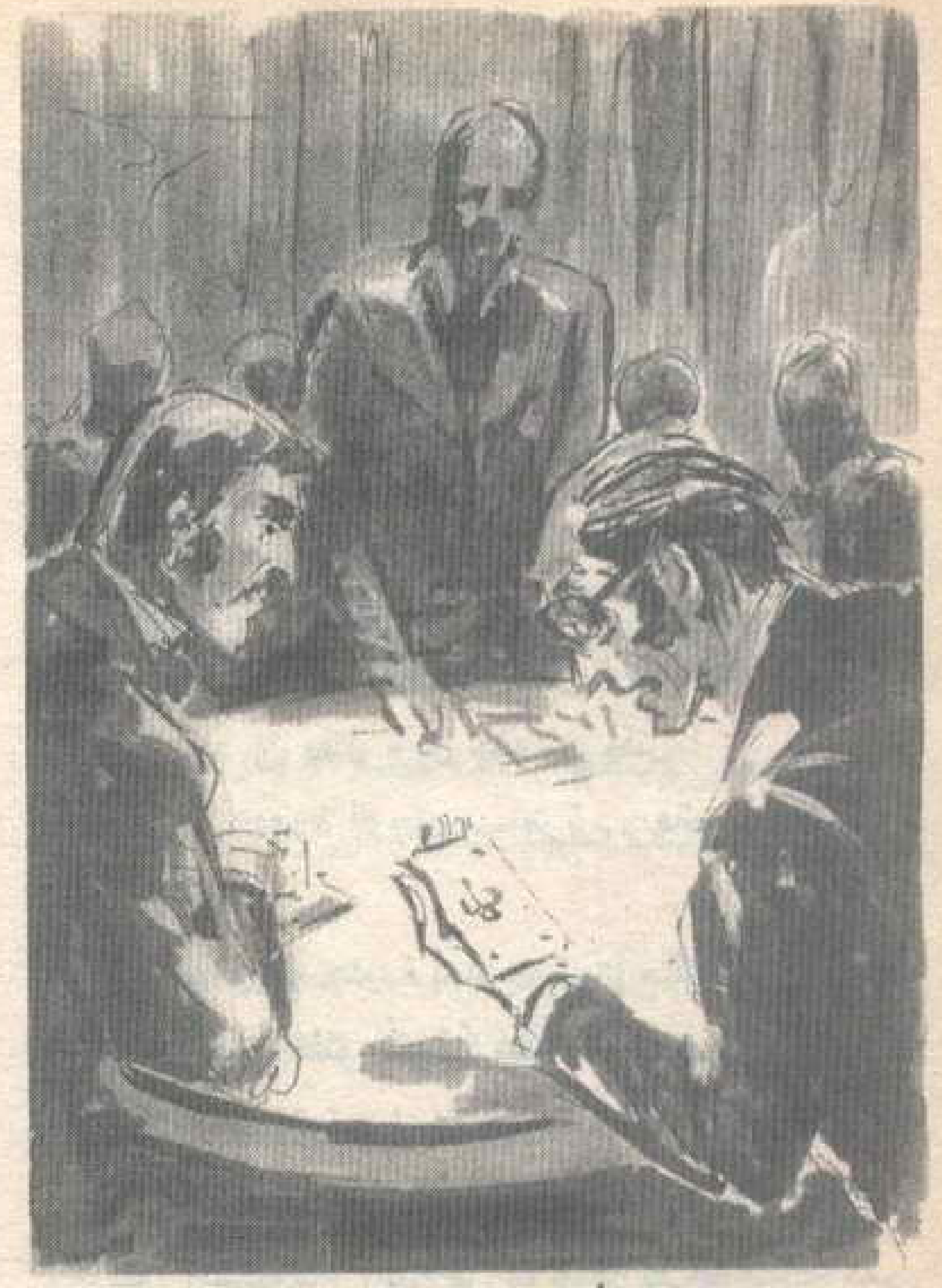
وجاء الدور على الفتى ذى الكعكات المغطاة بالقشدة ، فإذا هى الآس السباتى ! يا لحظه التعس ! فهو لم يرد أن يقتل ، بل جاء كى يُقتل !

ومازالت دورة الورق مستمرة .. فالورقة الخطرة لم تظهر بعد ..

سقطت ورقة جديدة أمام مستر (مالتوس) .. فما إن قلبها حتى أطلق شهقة عالية .. فقد كانت ورقته هى الآس البستونى !

انتهى اللعب أخيرًا .. وتفرق اللاعبون ..

لكن (مالتوس) ظل فى موضعه بلا حراك ، كمن ضربه البرق ..



سقطت ورقة جديدة أمام مستر (مالتوس) .. فما إن قلبها حتى أطلق شهقة عالية .. فقد كانت ورقته هى الآس البستونى ! ..

خرج الأمير والكولونيل إلى الهواء البارد .. شاعرين أن كل هذا كان حلمًا ثقيلا ..

صاح الأمير :

- « واحسرتاه ! أن ترتبط بميثاق شرف فى أمر كهذا ؟ أن تدع هذه التجارة تستمر بلا عقاب .. لو يمكننى الحنث بقسمى ! »

قال الكولونيل :

- « مستحيل يا سمو الأمير .. لكن من الممكن أن أحنث أنا بقسمى .. »

- « لن أسمح لك يا (جيرالدين) بإهانة شرفك فى أية مغامرة معى أطلب لنا عربة بحق السماء ، علنا ننسى هذه الليلة .. »

وفى الصباح ما كاد يصحو من النوم ، حتى دخل إليه الكولونيل بجريدة ، وأشار إلى خبر فيها :

حادث مؤسف : صباح اليوم فى الساعة الثانية ، وقع المستر (بارتليمو مالتوس) - ويعيش فى (ويستبورن جروف) - من فوق ترابزين السلم .. فتوفى فى الحال .. وقد كان السيد مشهورًا فى الأوساط الراقية ، وإن موته سيقابل بحزن عميق دون شك .

تبادل الرجلان النظرات .. لم يكن ما يؤلمهما هو وفاة (بارتلميو) الشرير ، ذى الروح الشيطانية .. بل ما اقترفه صاحب الكعكات ذات القشدة ..

قال الأمير :

ـ « لقد كان الفتى التعس بريئًا أمس .. والآن يلطخ الدم يديه .. لسوف يندم رئيس هذا النادى على آثامه .. لا أعرف كيف لكنى سأفعله .. تبًا لها من لعبة ورق .. وتبًا لها من تجربة ! »

ـ « ما ينبغى لها أن تتكرر .. »

لكن الأمير ظل صامتًا .. فتوتر الكولونيل .. وصاح :

ـ « لا أظن سموكم ترجو العودة .. إن واجبات مركزك السامى تحرم عليك تكرار هذه التجربة المريعة ! »

ـ « بل العكس .. سنكون هذه الليلة فى نادى الانتحار من جديد ! »

كان الأمير مصرًا .. حتى لم يجد الكولونيل حلاً سوى القبول .. لهذا استأذن من الأمير كى يعدّ عدته ، ويرتب بعض أموره ، استعدادًا لاحتمال الهلاك فى لعبة الليلة ..

وجاء الليل ..

ودخل الرجلان النادى الرهيب من جديد .. فلم يكن هناك سوى ستة أشخاص جالسين ..

ورأى الأمير بطرف عينه الفتى صاحب الكعكات المغطاة بالقشدة ، وهو مفعم بالضيق والهم .. راح الأمير يحاول التودد إليه لكنه صاح :

ـ ليتنى لم أحضركما إلى هنا ! لو سمعتما صرخة العجوز وهو يسقط .. لو سمعتما صوت تهشم عظامه ! اخرجا الآن وأنتما بريئان لم تقتلا أحدًا ! »

هنا دوى صوت الرئيس :

ـ « انتباه يا سادة ! »

ثم بدأت اللعبة الرهيبة ..

دار الورق ثلاث مرات ، ولم تظهر الورقتان .. ازداد التوتر بينما الدورة الرابعة تبدأ .. ومدّ الأمير يده إلى ورقته يقلبها فإذا بها الآس البستونى !

كان رجلاً شجاعًا .. لكن العرق غمر جبهته .. وارتجفت يداه على الرغم منه ..

ساد الغرفة ضجيج عال .. وبدأ القوم ينصرفون عن المائدة .. كان هناك لاعب قد تلقى الآس السباتى

فى الدورة الثانية .. وأدرك الأمير كم كان أحمق ، حين خاطر بمستقبله ومستقبل دولة كاملة .. لمجرد الفضول !

بدأت السكينة تعود إليه إلى حدّ ما .. ودار بعينيه بحثًا عن الكولونيل فلم يجده فى المكان .. ووجد جلاده يتهامس مع الرئيس بصدد بعض الترتيبات .. بينما هناك من يدنو منه ليهمس :

ـ « ليت لى حظك ! »

هنا انتهى الجلاد من الحديث مع الرئيس ، فانصرف وقد فهم ما يجب عليه عمله .. بينما دنا الرئيس من الأمير ، فصافحه قائلاً :

ـ « كانت معرفتك شرفًا لى .. ويسرنى أننى أسديت لك هذه الخدمة ..

ولا يمكنك أن تشكو من أننا عطلناك .. فقد تم اختيارك فى ثانى مرة ! »

لم يجد الأمير ما يقول .. لقد جف حلقه تمامًا ..

دعا الرئيس إلى كأس من البراندى .. وقال له :

ـ « ستمشى فى شارع (ستراند) على الرصيف الأيسر حتى تلقى السيد حامل الآس السباتى .. عليك أن تطيعه طاعة عمياء .. »

هزّ الأمير رأسه شاكرًا .. وانصرف ..

ارتدى قبعته ومعطفه ، وخطر له أن هذه قد تكون المرة الأخيرة التى يرتديهما فيها ! وفى تؤدة غادر المكان إلى الظلام ..

لكنه لم يكد يغادر الدار .. حتى مرت جواره عربة .. وإذا بثلاثة رجال يحملونه فى غير رفق إلى داخلها .. وسمع صوت الكولونيل يقول له بينما العربة تنطلق :

ـ « فليغفر لى سموكم تهورى ! »

ألقى الأمير رأسه على عنق الكولونيل ، وأطلق تنهيدة خلاص :

ـ « أغفر لك ؟ كيف أشكرك بما يكفى يا (كولونيل) ؟ »

قال الكولونيل :

ـ « بألا تضع نفسك فى مأزق مشابهة مرة أخرى .. إن هذه العربة تنتظر خارج النادى من قبل أن ندخله نحن .. لقد رتبت الأمر حين تركتك .. »

ـ « و .. وجلادى ؟ »

ـ « قبضنا عليه وهو يغادر النادى .. وهو الآن فى القصر ينتظر حكمك .. »

راحت العربة تركض فى الظلام .. وقال كولونيل جيرالدين :

- « إن قسمنا يمنعنا من إبلاغ البوليس .. لكن لدينا عددًا هائلاً من الأسرى قبض عليهم خدمك فى النادى الآن .. فماذا تنوى عمله ؟ »

وصلت العربة إلى بيت الأمير أخيرًا .

وفى ثيابه الرسمية مثل أعضاء نادى الانتحار أمام الأمير .. فقال لهم :

- « يا حمقى ! إننى لأرثى لكم جميعًا وأتمنى عونكم .. وغدًا يحكى لى كل منكم قصته فلعلى قادر على مساعدته ! »

ثم التفت الأمير إلى رئيس النادى .. وقال :

- « أما أنت فإننى لن أهينك بعرض المساعدة .. إن عندى عرضًا جيدًا لك .. فأخو الكولونيل سيقوم برحلة إلى أوروبا .. وأنا راغب فى أن تصحبه إلى هناك .. هل تجيد الرماية بالمسدس ؟ ثق بأنك ستحتاج إلى هذا .. وسيكون هناك من رجالى من يراقبك طيلة الوقت ، للتأكد من أنك لن تفرّ من هذه المبارزة العادلة ! »

وبعد هذا استمر رجال الأمير فى مراقبة النادى ، والقبض على كل زائر جديد لاستجوابه .. وكانت هذه نهاية القصة .

يقول الراوى العربى .. وهكذا انتهت هذه الحكاية .. وصار مقر النادى مغلقًا .. وإننى أبقى العنوان سرًا لأسباب واضحة .. أما من يرغبون فى معرفة مغامرة الأمير مع رئيس النادى ، فلهم أن يطالعوا قصة الطبيب وصندوق (ساراتوجا) ..

★ ★ ★

قصة الطبيب وحقيبة ساراتوجا

كان مستر (سيلاس سكودامور) شابًا أمريكيًا وديعًا .. ولا يعود هذا إلى أنه جاء من (نيوإنجلند) ، فهى بقعة من العالم الجديد لا تشتهر برقة الحاشية ..

وبرغم أنه لم يكن ثريًا ، فقد احتفظ بنفقاته كلها مدونة فى مفكرة صغيرة .. وقرر أن يشاهد سحر (باريس) مقيمًا فى فندق بالحى اللاتينى .. وراح ينفق أقل القليل من المال ..

فى الغرفة الملاصقة له كانت هناك حسناء جذابة متأنقة .. عرف فيما بعد أنها تدعى مدام (زفرين) ، وكانت تقابله أحيانًا بابتسامة مشرقة أو بضربة قاضية من عينيها السوداوين ، لكنها لم تفلح سوى فى جعله يغرق فى الاكتئاب والحياء ..

وكلما حدثته كان الكلام يفارقه ، وينسى لغته الفرنسية .. ويغرق فى اللعثمة والارتباك حتى ترحل ..

وعلى الناحية الأخرى من غرفة الأمريكى ، كان هناك طبيب إنجليزى له سمعة مشكوك فيها .. وكان

اسم الرجل دكتور (نويل) ، ويقال إن شرطة لندن هى التى أرغمته على ترك عيادته الناجحة جدًا هناك .. فراح يقضى وقته فى الدراسة فى هذا الركن المتواضع من الحى اللاتينى ..

لم يكن مستر (سكودامور) خاليًا من العيوب .. وأهم هذه الرذائل فضوله .. كان ثرثارًا بطبعه يعشق القيل والقال خاصة فى الأمور التى يجهلها .. وكان يسأل دومًا عما لايعنيه .. ويتلصص على قاعة الجلوس فى غرفة مدام (زفرين) ، من خلال ثقب فى الجدار الفاصل بين الغرفتين ..

وفى ذات يوم تلقت مدام (زفرين) زيارة من رجل طويل القامة أصلع ، فى الخمسين من عمره .. لم يره (سيلاس) قط .. لكن الرجل كان ذا سالفين مشعثين ، وبذلة من (التويد) مما جعل صاحبنا يتأكد من أنه بريطانى .. ولقد دارت المحادثة همسًا أكثر الوقت .. لم يسمع منها (سيلاس) سوى عبارة قيلت بنبرة عالية كأنما هى احتجاج :

ـ « لقد درست طباعه بدقة .. ومن جديد أقول لك

إنك المرأة الوحيدة من هذا الطراز التى يمكن أن أجدها .. »

تنهادت مدام (زفرين) وبدا كأنها تعفى نفسها من مشقة شديدة ..

عند العصر تم سدّ فتحة المراقبة .. وأدرك (سيلاس) أن البريطانى له دور فى هذا ولا بد أنه لاحظها فى أثناء زيارته ..

كان يشعر بسوء حظه حين حضر الخادم حاملاً خطابًا بخط امرأة لم يكن موقعًا .. لكنه كان مكتوبًا بالفرنسية بهجاء ملىء بالأغلاط ويدعو الشاب إلى اللقاء فى مكان من الـ(بوبير بول) فى الحادية عشرة مساء اليوم ...

واصطرعت الوداعة مع الفضول فى نفس الفتى .. وكانت النتيجة هى أنه اجتاز مدخل الـ (بوبير بول) فى العاشرة مساءً .. ودفع ثمن تذكرة الدخول بلا مبالاة أدهشته هو نفسه ..

كان الوقت وقت (كرنفال) والمرقص مزدحمًا صاخبًا .. وفى البداية أخجلته الأضواء وأربكته .. ثم خدرت ذهنه وجعلته يزداد جرأة .. وراح يشق زحام

المرقص كفارس مستعد لمواجهة الشيطان ذاته ..

هنا رأى مدام (زفرين) وضيفها البريطانى جالسين جوار عامود .. فدنا منهما ليسمع ما يقولان دون أن يرياه ..

قال البريطانى :

ـ « هو ذا الرجل .. ذو الشعر الأشقر يتحدث مع الفتاة ذات الثوب الأخضر .. »

قالت المدام :

ـ « حسن .. سأبذل ما بوسعى .. لكن تذكر أن أفضلنا قد يفشل فى شىء كهذا .. »

ـ لا ! إننى أبغى نتائج .. لقد اخترتك من ثلاثين واحدة .. اذهبى لكن خذى الحذر من الأمير .. ليتنى أعرف أية لعنة أحضرته ها هنا الليلة .. كأنما لا يوجد ألف مرقص غير هذا فى (باريس) »

رأى (سيلاس) بالصدفة رجلاً شديد الوسامة ، تبدو عليه أمارات الأرستقراطية والسيطرة .. كان جالسًا مع رجل آخر يخاطبه باحترام واضح .. وسمع (سيلاس) ذو العقل الجمهورى ـ فهو أمريكى ـ لفظة (أمير) تتردد مرارًا .. ففتنه هذا الوصف ..

ودنا من المائدة التى جلس عليها هذا الأمير وتابعه ..

كان الأمير يقول وهو يشير نحو الرجل الأشقر :

- أقول لك يا (جيرالدين) إن المسألة حمقاء تمامًا .. لقد اخترت أخاك لهذا العمل ، ومن واجبك أن تتأكد من أنه سيقوم به .. لقد مرت ثمان وأربعون ساعة ولما ينفذ المهمة بعد .. كان يجب أن يقضى وقته فى التدريب على المبارزة ، وينام ساعات أطول ، ويتمشى يوميًا ، ويأكل طعامًا متقشفًا .. أتراه يحسبنا نلهو هاهنا ؟ »

قال الكولونيل :

- « إننى أعرفه جيدًا يا أميرى .. وهو حذر جدًا فما عليك أن تقلق .. وأنا واثق من أنه - والخادمين - سيعنيان برئيس النادى جيدًا .. »

قال الأمير :

- « يسرنى أن تقول هذا .. لكن الخادمين جاسوسان بارعان ، وبرغم هذا استطاع رئيس النادى أن يفلت من مراقبتهما ساعات عديدة .. وهذا يثير قلقى حقًا .. إنه لرجل يجيد الخداع .. »

ثم انهمك الأمير فى مراقبة الرقص .. ولم تعد المحادثة غير عادية ..

هنا عاد (سيلاس) يتذكر موعده الذى حان وقته .. ومن الغريب أنه بدأ يشعر برعب ونفور من اللقاء المرتقب .. وترك دوامة الرقص تحمله إلى الباب دون مقاومة .. لكنه سمع صوت مدام (زفرين) تتحدث بالفرنسية مع الرجل ذى الشعر الأشقر ، الذى أشار إليه البريطانى منذ قليل ..

قال (سيلاس) لنفسه :

- « إن هى إلا عشر دقائق أمشى بعدها مع امرأة فى مثل جمال هذه .. ربما أكثر أناقة .. وربما لها لقب شريف .. »

ثم تذكر الهجاء المغلوط فى الخطاب ، فخاب أمله ..

- « لربما كانت خادمة هى كاتبة الخطاب .. »

وكاد يتجه للباب ثانية .. لكن الدوامة أبعدته عنه .. كان راغبًا فى الرحيل لأنه شعر بمزيج من الفضيلة والجبن .. ولم يمنعه من الفرار سوى خشيته أن يبدو ناقص الرجولة أمام صاحبة الخطاب ..

لقد مرّت عشر دقائق على الموعد .. واستعاد جرأته



اتجه للخروج حين شعر بيد توضع على ذراعه .. استدار فرأى امرأة ضخمة الحجم ، لكن وجهها وديع ..

وشجاعته ، إذ فكر فى أن الفتاة قد رحلت أو لم تأت .. الآن لا يمكن لأحد أن يتهمه بالجبن ! ثم راح يفكر فى أنه ـ ربما ـ قد أفلت ببراعته من مؤامرة شريرة ..

اتجه للخروج حين شعر بيد توضع على ذراعه .. استدار فرأى امرأة ضخمة الحجم ، لكن وجهها وديع .. قالت له :

ـ « أرى أنك صائد نساء واثق من نفسه .. لكنى كنت مصممة على لقائك .. فالمرأة تتخلى عن كبريائها حين تقدم على الخطوة الأولى .. »

كانت لطيفة جعلت التوتر يفارقه .. وبرغم حجمها الهائل وظهورها المفاجئ فقد بدأ يميل إليها ..

قالت له وهى تعده بلقاء :

ـ « غدًا عليك أن تبقى فى حجرتك لا تغادرها .. ولو جاء من يزورك من رفاقك فلتصرفه فورًا .. ثم ـ فى الحادية عشرة إلا الربع ـ تفارق الفندق .. لا تتكلم مع البواب وإلا أفسدت كل شىء .. توجه إلى تقاطع حدائق (لوكسمبورج) مع الـ(بوليفار) وسأكون بانتظارك هناك .. عليك أن تتبع تعليماتى حرفيًا ،

وإلا جلبت الوبال على امرأة كل جريرتها أنها أحبتك يومًا .. »

قال (سيلاس) :

ـ « لا أفهم معنى لكل هذه التعليمات .. »

ضربته بالمروحة على يده ، وهتفت :

ـ « أراك بدأت تعاملنى كسيد لى .. الصبر الصبر ! إن المرأة تحب أن تُطاع فى البداية .. وبعد هذا تحب أن تطيع .. أنا أعرفكم معشر الرجال .. كلكم لا تبالون بسمعةَ المرأة التى تهواكم .. »

ثم قالت بلهجة متودَدة :

ـ « ثم كيف لى أن أثق بعواطفك .. إذا ما رفضت تنفيذ هذه التوافه التى أطلبها أنا فى أول لقاء لنا ؟ »

ونظرت للساعة وضربت كفيها معًا صارخة :

ـ « يا للسماء ! أحقًا تأخرنا إلى هذا الحدّ ؟ واحسرتاه ! أية جوارٍ هن نحن معشر النساء ! ليست لدى ثانية أخرى .. »

وودعته بعد أن كررت تعليماتها ، وغابت فى الزحام ..

وجاء الموعد المنتظر فى الليلة التالية ، فاتبع

(سيلاس) تعليماتها حرفيًا .. ووقف عند تقاطع حدائق (لوكسمبورج) مع الـ (بوليفار) ..

كان متلهفًا قلقًا ، لكنه انتظر نصف ساعة ، يرمق وجوه المارة .. ودار حول المدينة مرارًا .. لكن لا كونتيسة حسناء تلقى بنفسها بين ذراعيه ..

وأخيرًا بدأ يمشى إلى الفندق فى تردّد .. وخيبة الأمل تقتله ..

قابله البواب ، ففتح له الباب وسأله :

ـ « هل رحل ؟ »

ـ « من ؟ »

قال البواب :

ـ « لم أره يخرج .. لكنى أظنك دفعت له .. »

ـ « عم تتحدّث بحق السماء ؟ »

ـ « الرجل الأشقر قصير القامة الذى جاء يطالب بدين لك عنده .. »

قال (سيلاس) :

ـ « لكن .. لكنه لم يأت قط .. »

ثم هرع يرقى درجات السلم إلى حجرته ..

وقف أمام الباب يلتقط أنفاسه الملهوفة .. ثم فتح

الباب .. كان الظلام دامسًا ، لكنه شعر بالأمان أخيرًا ..
وراح يبحث فى الظلام عن علبة الثقاب .. وبحاسة الاتجاه أدرك أنه عند قدم الفراش .. فما عليه إلا أن يتحسس الأغطية حتى يصل إلى المنضدة التى عليها الثقاب ..

مدّ يده .. فلم يكن ما أحس به ملاءة .. كانت ملاءة تحتها شىء ما كقدم إنسان ! سحب يده سريعًا وتصلب هلعًا بضع ثوان ..

استجمع شجاعته وواصل التحسس .. كان هناك شىء فى فراشه ..

بحث عن الثقاب وأوقد شمعة وقربها من الفراش .. وبرغمه أطلق صرخة .. بالتأكيد هو ذا يرى أسوأ خيالاته وقد تحقق ..

إنه جسد رجل يرقد فى السرير تحت الأغطية .. الرجل الأشقر الذى رآه فى المرقص أمس .. وجه منتفخ أسود وخيط من الدم يخرج من فتحتى أنفه .. ارتمى على ركبتيه عاجزًا عن التفكير ..

هنا سمع صوت قرعات على الباب .. جرى ليمنع الطارق من الدخول ، لكنه تأخر كثيرًا .. فهو ذا

د.(نويل) يدخل الغرفة حاملاً مصباحًا .. ويتقدم للأمام ..

قال الطبيب :

ـ « سمعت صرخة .. لذا سمحت لنفسى بهذا الاقتحام .. »

لم يجد (سيلاس) صوتًا يردّ به .. لكنه وقف بين الفراش والطبيب .. إذ قال هذا الأخير :

ـ « أنت فى الظلام لكنك لم تستعد للنوم بعد .. ووجهك يدلّ على أنك بحاجة إما إلى طبيب وإما إلى صديق .. فمن تريد ؟ »

هنا انهارت أعصاب الفتى .. فهوى على الأرض يبكى .. وهكذا رأى الطبيب جثة الرجل الممدّدة فى الفراش .. فصاح :

ـ « هيّا ! ما هذا وقت البكاء .. ماذا تفعل هذه الجثة فى فراشك ؟ تكلم بصراحة .. فقطعة اللحم الميت هذه لن تقلل من تعاطفى معك .. ولو عاد صديق لى من بحر دم فلن يغير هذا عاطفتى نحوه .. »

راح الفتى يحكى له قصته .. فما إن انتهى حتى هتف الطبيب :

- « واحسرتاه ! إما أنك خدعتنى .. وإما أنك وقعت فى أخطر أياد فى أوروبا .. يا للحفرة التى تم إيقاع بساطتك فيها ! ولكن لا تقنط .. إنما الشباب هو موسم الجبن .. ومتاعب المرء تلوح أكثر سوادًا مما هى عليه فى الحقيقة .. »

- « هل أحكى قصتى للشرطة ؟ »

- « بالطبع لا .. فمن نظرة السلطات الضيقة للأمور ، يمكن القول إنك القاتل دون شك .. ونحن لا نعرف سوى قدر يسير من المؤامرة .. فلا بد أن من فعل هذا قد أحكم الشرك حولك .. »

قال الفتى :

- « إذن ما العمل يا دكتور ؟ إننى لا أجد فى نفسى من الشجاعة ما يكفى كى أستمر فى الوجود .. »

تأمل الدكتور الجثة بعين خبيرة وقال :

- « ميت تمامًا .. لحسن الحظ أنه صغير الحجم .. »

لم يفهم (سيلاس) معنى الكلام .. وانتهى الطبيب من الفحص ، فجلس وقال :

- « لقد لاحظت عندك فى ركن الحجرة شيئًا من هذه الأشياء هائلة الحجم ، التى يحملها الريفيون من

أمثالك فى أثناء سفرهم .. ويسمونها حقيبة (ساراتوجا) .. وحتى هذه اللحظة لم أكن أفهم نفع هذه المنشآت العملاقة .. ثم بدأت أفهم الآن .. إن أصلح شىء لهذه الحقيبة هو وضع جثة فيها ! »

قال الفتى :

- « طبعًا ليس هذا وقت المزاح .. »

- « قد أعبر عن رأيى بمرح ، لكن فحوى كلامى جاد تمامًا .. وعلينا الآن أن نفرغ هذه الحقيبة مما بها .. »

وراح الرجلان يفرغان الحقيبة .. ثم تعاونا على حمل الرجل ، ثم ثنى جسده كى يستقر داخلها .. وأغلقا الغطاء على هذا المتاع غير المعتاد ..

- « والآن عليك أن تدفع مبلغًا كبيرًا للبواب كى تهدئ شكوكه .. وتعال معى لحجرتى كى أعطيك جرعة من دواء مهدئ يعينك على النوم .. »

قضى الفتى أطول يوم فى حياته بين الدموع والدعاء ..

وعندما جاء المساء عاد د. (نويل) إلى حجرته ، حاملاً مظروفين مغلقين لا عنوان عليهما .. وقال للفتى :

- « قد جاء الوقت لأشرح خطتى لخلاصك .. صباح غد سيعود الأمير (فلورتيزل) أمير (بوهيميا) إلى (لندن) .. وقد سبق لى أن أسديت لياوره الكولونيل (جيرالدين) خدمة ما .. لهذا سيقبل الأمير أن يضم حقيبتك إلى متاعه .. وبهذا يدخل المتاع إلى (لندن) دون أن تفتشه الجمارك نظرًا لمنصب الأمير ووضعه الدبلوماسى .. فما إن تدخل الحقيبة (لندن) حتى يكون عليك فتح الخطاب الأول .. ستجد به عنوانًا تذهب إليه بالخطاب الثانى مع الصندوق .. سيؤخذ منك هناك وتنتهى متاعبك ! »

- « ولكن كيف يقبل عقلى هذا ؟ »

بدا الضيق على الدكتور وقال :

- « يا صبى .. ربما كنت أبدو هادئًا منعزلاً مدمنًا للدراسة .. لكن فى شبابى كان اسمى داويًا بين أرواح (لندن) الشريرة .. وكانت لى علاقات كبيرة مع المجرمين .. وأنا أرسلك لواحد من معارفى القدامى ممن مارسوا القتل كتجارة .. »

بدا الرعب على (سيلاس) .. فقال الدكتور ضاحكًا :

- « أنت صعب الإرضاء يا مستر (سكودامور) .. لكننى أخيرك بين صحبة القتيل وصحبة القاتل ! ولو كان ضميرك يقظًا إلى هذا الحد فإننى سأرحل حالاً .. ويمكنك التخلص من الحقيبة بالشكل الذى يلائمك .. »

- « قد أسأت التعبير عن نفسى .. فأنا ممتن لك إلى حد لا يوصف .. »

وفى الصباح ذهب (سيلاس) إلى الفندق ، حيث استقبله الكولونيل (جيرالدين) فى تهذيب ، ومن لحظتها زال عنه عناء الصندوق ..

ومضت الرحلة دون مشاكل .. فيما عدا رعب الفتى من ملاحظات الحمالين حول وزن الصندوق غير العادى ..

وعلى ظهر القارب البخارى ؛ لاحظ سمو الأمير ذلك المناخ من الشجن المحيط بالفتى .. فقال متأملاً :

- « هذا شاب لديه بالتأكيد سبب للأسف .. »

قال الكولونيل :

- « إنه الأمريكى الذى حملنا متاعه معنا .. »

اتجه الأمير إلى (سيلاس) .. وقال له :

- « لقد سرنى أيها الشاب أن أحقق لك الرغبة

التى عبّرت عنها للكولونيل (جيرالدين) .. ولسوف يسرّنى أن أقدم لك خدمات أخرى أهمّ من هذه فى المستقبل .. إننى ألاحظ أنك جادّ جدًا بالنسبة لعمرك .. يبدو لى أنك غارق فى أمور كئيبة .. »

قال (سيلاس) :

ـ « إن لدى أسبابًا تجعلنى أتعس الناس .. فلم يُعامل برىء معاملة سيئة كهذه التى عوملتها قط .. »

وشعر (سيلاس) بالامتنان إثر معاملة الأمير اللطيفة .. لكن لطف الأمراء لا يستطيع تحرير روح مثقلة من قيودها ..

وصلوا إلى (شيرنج كروس) .. فطلب الأمير من سائق عربته أن يوصل الفتى بحقيبته إلى حيث يرغب .. شكره الفتى بحرارة .. وراح يبحث عن العنوان فى المظروف الذى بحوزته ، وأخبر السائق بوجهته ..

وفى العنوان المذكور تعاون والسائق على إنزال الحقيبة .. ثم قرع الباب فعرف أن صاحب الدار غير موجود .. هكذا صار عليه أن يأخذها ثانية .. ويودعها فندقًا .. وكان هذا الفندق هو فندق (كريفن) .

جلس فى حجرته على الفراش .. وفجأة وجد الحمال يحاول فتح الحقيبة له .. فصاح :

ـ « دعها وشأنها ! لن أحتاج إلى شىء منها ! »

غمغم الرجل :

ـ « إذن اتركها فى الاستقبال .. إن هذا الشىء كبير ككنيسة .. ولو كنت قد ملأته مالاً فلا بد أنك أغنى رجل فى العالم .. »

ـ « مال ؟ أنا لا أملك مالاً .. وأنت تتحامق .. »

ـ « ليكن يا قبطان .. لن يمس أحد مال سعادتكم .. لكنى أريد أن أشرب شيئًا فى صحتكم .. »

دسّ (سيلاس) عملتين نابوليونتين فى يد الرجل .. فراح هذا يزمجر .. وينقل عينيه بين العملة الأجنبية والحقيبة .. وفى النهاية قبل أن ينصرف ..

فما إن صار وحيدًا ؛ حتى راح (سيلاس) يتشمم الحقيبة .. لكن الطقس كان باردًا ولم تفح رائحة الجثة بعد ..

وحيدًا فى مدينة غريبة .. دون أصدقاء .. ولو تخلى عنه أصدقاء الطبيب فهو دون شك ضائع تمامًا ..

لقد ضاع مستقبله .. لن تكون هناك أمجاد .. ولن

يشرف وطنه (باتجور ـ مين) أبدًا .. ولن يصير أبدًا رئيسًا للولايات المتحدة يترك تمثالاً قبيحًا له فى (واشنجتون) ..

إنه هنا محبوس مع إنجليزى معبأ فى حقيبة (ساراتوجا) .. ومجده القومى قد تلاشى شعاعًا !

ترك كنزه المريع فى الحجرة ليلحق بالعشاء .. وهو يشعر أن كل العيون ترمقه فى شك .. وحانت منه لفتة ليرى رجلاً يدخن فى ركن القاعة .. رجلاً له منظر محترم مهيب .. لقد رأى هذا الوجه من قبل .. شعر بالذعر وعاد إلى الغرفة فأوصدها على نفسه ..

وقضى الليل تنهشه الكوابيس .. خائفًا من الجثة .. من اللصوص .. من المراقبة .. نام عند الفجر من فرط إرهاقه ، فلم يوقظه سوى صوت طرق على الباب ، فجرى ليفتحه .. وجد خادمًا يسأله :

ـ « هل أنت السيد الذى جاء إلى (بوكس كورت) أمس ؟ »

هزَّ رأسه أن نعم .. وهو يرتجف ..

قال الخادم وهو يقدم له مظروفًا مغلقًا :

ـ « هذه الرسالة لك .. »

فتح المظروف فوجد داخله رسالة تقول (الثانية عشرة) ..

ولم يكذب خبرًا .. حمل حقيبته المشئومة بمعونة بعض الخدم إلى المكان الذى قصده أمس ..

أدخلوه ـ حين وصل إلى العنوان ـ إلى حجرة يقف فيها سيد أمام المدفأة ، وقد أولاه ظهره ..

مرت خمس دقائق قبل أن يستدير الرجل .. عندها فوجىء (سيلاس) بأنه لم يكن سوى (فلوريتزل) أمير (بوهيميا) ..

قال الأمير فى عنف :

ـ « أرى يا سيدى أنك تسىء فهم تهذيبى معك .. أنت تتصل بناس ذوى حيثية لمجرد أن تفلت من تبعات جرائمك .. »

صرخ الفتى :

ـ « أنا طاهر برىء من كل إثم سوى سوء الحظ ! »

وبصوت ملهوف راح يحكى القصة من بدايتها للأمير ..

قال الأمير بعد ما سمع كل شىء :

ـ « أرى أننى أخطأت .. أنت ضحية .. وما دمت

لن أعاقبك فمعنى هذا أننى سأساعدك .. والآن يأتى دور العمل .. افتح الصندوق لأرى ما فيه .. »

شحب لون (سيلاس) وقال :

ـ « إننى أخشى النظر إليه .. »

ـ « أحقًا لم تنظر داخله ؟ هذه عاطفة يجب مقاومتها .. إن منظر رجل مريض لهو أكثر تأثيرًا فى المشاعر من منظر رجل ميت .. رجل صار بعيدًا عن العون أو الأذى .. عن الحب أو المقت .. تماسك يا مستر (سكودامور) .. »

تحامل الفتى على نفسه وفتح الحقيبة ..

وقف الأمير يرقب المشهد ويداه خلف ظهره .. بينما الفتى يحرر الجسد المتخشب من الحقيبة ..

بدت دهشة أليمة على وجه الأمير .. ثم صرخ :

ـ « واحسرتاه ! أنت لا تعرف أية هدية قاسية جلبت لى .. هذا الرجل هو شقيق صديقى الأمين .. وقد كان مكلفًا بمهمة فى خدمتى حين لقى حتفه على يدى خائن أثيم .. مسكين يا كولونيل ! بأية كلمات أخبرك بمصرع أخيك ؟ كيف أسامح نفسى وكيف يغفر لى الله أننى قدت الفتى إلى حتفه ؟ إننى أنظر إلى هذا

الفتى الذى ضحيت به يا مستر (سكودامور) وأشعر كم هو تافه أن يكون المرء أميرًا ! »

كان (سيلاس) يبكى .. فدنا منه الأمير وربت على يده :

ـ « تماسك .. فلدى كلينا ما ينبغى تعلمه .. ولسوف نغدو رجلين أفضل .. »

ثم إنه قاد الفتى إلى المائدة .. وقال :

ـ « اكتب لى عنوان د. (نويل) هنا .. واحرص على تجنب صحبته لو عدت إلى (باريس) .. فهو رجل خطر .. رجل ذكى .. لقد أرسل جثة الشاب فى صحبتك إلى القاتل الحقيقى ! »

هتف (سيلاس) مذهولاً :

ـ « القاتل الحقيقى ! »

ـ « لقد وجدت الخطاب الذى أرسله معك .. وهو موجه إلى رئيس نادى الانتحار نفسه .. إن نجاتك لمعجزة .. وعليك ترك هذا البيت حالاً .. »

فارق (سيلاس) الأمير ، لكنه تلكأ قليلاً جوار البيت .. عندها رأى الأمير يركب عربة فاخرة فى زيارة للكولونيل (هندرسون) فى الشرطة ..

وبرغم أنه جمهورى النزعة ؛ نزع الأمريكى قبعتـه احترامًا للعربـة المبتعدة .. وفى ذات المســاء ركـب القطار عائدًا إلى (باريس) .

يقول الراوى العربى : هنا تنتهى قصة الطبيب وحقيبة (ساراتوجا) .. ولن أضيف هاهنا سوى أن مستر (سكودامور) قد بدأ يرتقى سلم الشـهرة السياسية .. ويُقال فى آخر أخباره إنه صار مأمورًا فى مسقط رأسه ..

★ ★ ★

مغامرة العربات (الكارو)

كان الملازم (براكنبورى ريتش) قد ظفر لنفسه بشهرة لا بأس بها فى أثناء الحرب فى جبال (الهند) .. واشتهرت أنباء شجاعته ..

ثم عاد للوطن مصابًا بحمى أدغال مستعصية ، وندبة سيف على خده .. وكان المجتمع مستعدًا لاستقباله كنجم متوسط البريق .. لكن الملازم لم يكن من هواة الشهرة .. وكان يعشق المغامرة ولا يعبأ بالمراسم .. لذا انتظر تسعة أيام حتى بدأ الناس ينسونه ، ثم ذهب إلى (لندن) ليزورها كسائح أجنبى لا يعرفه أحد .. برغم أنه ضحى بحياته من أجلها ..

تناول عشاءه فى نادى المحاربين .. ثم خرج يبحث عن طريقة لقضاء السهرة .. وكان فى زيه الرسمى إذ اعتزم دخول المسرح .. لكن المدينة كانت جديدة عليه ، وزحام الوجوه فى الشارع يغريه بأن يمشى ويتأمل ..

بدأ المطر ينهمر ، فوقف تحت بعض الأشجار يحتمى ..

هنا رأى عربة (كارو) يشير له سائقها أنه غير مرتبط بزبون .. فهرع إليها .. وركبها .. سأله السائق عن وجهته فقال :

ـ « إلى حيث تريد .. »

عندئذ اندفعت العربة تحت الأمطار وسط متاهة من البيوت الفاخرة .. كانت هناك مجموعة من (الفيللات) المتشابهة حتى إن الملازم فقد إحساسه بالاتجاه تمامًا .. وأدرك أن سائق العربة يتجه نحو وجهة محددة لم يتردد كثيرًا فى اختيارها .. وبهرته قدرة الرجل على شق طريقه وسط هذه المتاهة .. لقد سمع قصصًا رهيبة عن (لندن) من قبل .. فهل السائق ينتمى لمنظمة غادرة دموية ؟ وهل يُراد قتله ؟

هنا توقفت العربة أمام (فيللا) ما .. وكان المنزل يتألق بالنور .. وثمة مدعوون يدخلون من البوابة الرئيسية ..

قال السائق :

ـ « ها قد وصلنا يا سيدى .. »

ـ « وصلنا أين ؟ »



هنا رأى عربة (كارو) يشير له سائقها أنه غير مرتبط بزبون .. فهرع إليها ..

- « طلبت أن آخذك إلى حيث أريد .. وها قد وصلنا ! »

- « كنت أظن أن الاختيار لى أيها الرجل الطيب .. »

- « هو كذلك يا سيدى .. إن هناك حفلة للسادة المهذبين بالداخل .. لا أعرف شيئًا عن صاحب (الفيللا) .. لكنى كلفت باختطاف السادة الموجودين الذين يرتدون ثياب السهرة أو الثياب العسكرية .. فما عليك إلا أن تدخل وتقول إن مستر (موريس) دعاك .. »

- « وهبنى رفضت الدعوة ؟ »

- « عندئذ تقضى أوامرى بأن أعيدك إلى حيث كنت ، وأنطلق لأبحث عن مدعوين آخرين .. إن من لا يرغبون فى مغامرة كهذه لا يصلحون ضيوفًا لمستر (موريس) .. »

هنا اتخذ الملازم قراره ..

نزل من العربة مغمغمًا :

- « على الأقل لم أنتظر كثيرًا حتى أبدأ مغامرتى .. »

بحث فى جيبه عن الأجر ، لكن العربة كانت قد انطلقت .. وسرعان ما برز له خادم يحمل مظلة كى يقوده إلى الداخل .. وبأدب قال له :

- « لقد تم دفع أجر السائق .. »

واجتازا الحديقة إلى داخل المنزل ، حيث راح حشد من الخدم يخلصونه من عصاه وقبعته .. وأعطوه تذكرة عليها رقم .. ثم قادوه إلى قاعة كبيرة ..

كانت هناك مئات من الشموع ، وما يقرب من ستة عشر ضيفًا .. بعضهم يلعب (الروليت) .. وبعضهم يلعب (الباكاراه) ..

على حين راح الخدم يتنقلون ، حاملين كئوس الشمبانيا وأطباق الفاكهة .. ثم جاء مستر (موريس) ليستقبله .. كان شابًّا وسيمًا رقيقًا يوحى بأصل راق .. ووجد الملازم أن لديه ميلاً طبيعيًّا تجاه مضيفه ..

قال مستر (موريس) :

- « سمعت عنك يا ملازم (ريتش) .. وصدقنى إننى لممنون إذ أعرفك .. إن مظهرك يتفق تمامًا والسمعة التى سبقتك من (الهند) .. ولو أنك تناسيت الأسلوب الغريب الذى دعوتك به إلى منزلى ؛ فإننى سأشعر بالفخر والسرور الخالص لوجودك هنا .. »

فكر الملازم :

- « بشرفى .. هذا الرجل من ألطف الناس ، وهذه الصحبة من أظرفهم فى (لندن) .. »

لكنه راح يراقب الرجل .. ووجده يجرى فحصًا دقيقًا على كل الموجودين فى القاعة .. لم يترك ضيفًا إلا وكلمه .. وراح يراقبه من بعيد .. وعلى وجهه ابتسامة دائمة سرعان ما ينساها .. عندئذ ترتسم على ملامحه سيماء القلق والجدية ..

ثم رآه يأخذ أحد الضيوف جانبًا ليقول له :

ـ « أعتذر لك ألف مرة .. لا أنكر أننى أعتقد أنك جئت دارى دون قصد ، وعن طريق الخطأ .. لأننى ـ وأتكلم بصراحة ـ لا أذكر وجهك أبدًا .. فهلا قلت لى تحت أى سقف تحسب أنك موجود الآن ؟ »

قال الضيف فى حيرة :

ـ « تحت سقف مستر (موريس) »

ـ « فهمت .. هناك رجل آخر يدعى (موريس) فى نهاية الشارع .. وأنا واثق أن الشرطى سيدلك عليه .. إننى أعتذر عن سوء الفهم لكنه ـ على الأقل ـ قد جعلنى أستمتع بصحبتك فترة كافية .. وأنا لن أقبل تحت أية ظروف أن أؤخرك عن رفاقك فترة أطول .. (جون) ! هلا تأكدت من أن هذا السيد سيجد معطفه ؟ »

فما إن رحل الرجل مع الخدم .. حتى أطلق مستر (موريس) تنهيدة .. كأنما روحه كانت مرهقة بهذا العمل الثقيل الذى قام به ..

وخلال ساعة راح مستر (موريس) يستقبل ضيوفًا آخرين .. ويطرد آخرين بنفس الأسلوب الرقيق .. لهذا ظل العدد ثابتًا ..

لكن بعد قليل بدأ عدد الوافدين يقل وعدد المطرودين يزداد ..

بينما مستر (موريس) يتنقل بين مجموعة وأخرى .. لم يكن يبدو كمضيف بل كمضيفة .. وثمة طريقة أنثوية فى عنايته الفائقة بالضيوف ..

دخل الملازم غرفة مجاورة على سبيل التجديد .. هنا وجد شيئًا غريبًا ..

لقد جمع الخدم الأثاث كله .. والزهور كلها .. كأنما المنزل تسكنه أسرة قد عزمت على الرحيل .. وكانت هناك عربتا نقل أثاث أمام الباب .. فما معنى هذا ؟

إذن فالأمر كله خدعة ..

من هو مستر (موريس) ؟ ما غرضه من لعب دور المضيف ؟ ولماذا يجمع الزوار من شوارع (لندن) ؟

كان خمسة أشخاص قد بقوا فى القاعة .. حين نهض مستر (موريس) ليقول :

- « ها قد حان الوقت يا سادة لأشرح لكم الأمر .. إن غرضى لم يكن هو إمتاعكم .. بل معاونة نفسى فى ضرورة عاجلة .. وأطلب منكم أن تسدوا لى خدمة خطرة حساسة .. إن طلبًا كهذا فيه مبالغة كبرى حين يجىء من غريب .. لهذا يمكن لمن يرغب أن ينصرف .. وهى ذى يدى تصافحه بكل إخلاص .. »

نهض رجل أسمر طويل القامة .. وقال :

- « إننى أقدر صراحتك يا سيدى .. لا أريد إعطاء انطباعات .. لكن لا أنكر أنك تملؤنى بأفكار متشككة .. لهذا سأرحل .. وأعتقد أنه ليس من حقى تبرير ما أفعل بكلمات .. »

- « على العكس .. أنا ممنون لما تقول .. »

قال الرجل مخاطبًا الآخرين :

- « حسن يا سادة .. ما رأيكم ؟ هلا عدنا إلى ديارنا الآن فى سلام ؟ سوف تشكروننى على طلبى حين يجىء الصباح وترون الشمس ثانية وأنتم طاهرو الذيل سالمون .. »

قالها بجدية وخطورة .. عندها نهض واحد من الجالسين مستعدًا للرحيل ..

وبقى اثنان ثابتا الجنان هما الملازم (براكنبورى) .. وميجور عجوز أحمر الأنف من سلاح الفرسان ..

اقتاد مستر (موريس) الراحلين إلى الباب .. ثم عاد إلى الضابطين الجالسين وقال :

- « لقد اخترت رجالى كما فعل (جوشوا) فى التوراة .. والآن أنا موقن أنكما خلاصة (لندن) .. فمظهركما شدَّ سائق عربتى .. ولقد راقبت مسلككما طيلة السهرة .. ورأيتكما تلعبان وتقبلان الخسارة .. ثم قدمت خطبتى المريبة ، لكنكما لم تتزحزحا .. وقبلتماها كدعوة إلى العشاء .. »

قال الميجور العجوز :

- « نحن لن نخيب ظنك يا سيدى .. »

ثم قال مخاطبًا (براكنبورى) :

- « ملازم (ريتش) .. سمعت عنك الكثير ولا أشك فى أنك سمعت عنى أيضًا .. أنا الميجور (أوروك) .. »

صافحه (براكنبورى) وقال :

- « ومن لم يسمع عنك ؟ »

ثم سأل الميجور مضيفهما :
- « والآن ماذا ؟ هل فى الأمر مبارزة ؟ »
قال مستر (موريس) :
- « مبارزة على الموضة ! مبارزة - كما أخشى - حتى الموت مع أشر الأعداء طرًا .. والآن يمكنكما أن تدعوانى باسم (هامر سميث) وهو اسمى الحقيقى .. هناك شخص آخر يهمنى أمره قد اختفى من الدار منذ ثلاثة أيام .. ولا علم لى بمكانه .. وصديقى هذا منهمك فى عمل من أعمال العدالة الشخصية .. فهو مضطر لأن يتخلص بنفسه من وغد أثيم ، دون معونة القانون .. لأنه ملتزم بقسم تعس .. لقد هلك اثنان من رفاقى أحدهما هو أخى الشقيق .. والآن لا أدرى مصير صديقى هذا .. لكنى أعرف أنه مازال حيًا .. وهذه الرسالة تثبت هذا .. »

بالطبع كان المتكلم هو الكولونيل (جيرالدين) تابع الأمير (فلوريتزل) ..

وأخرج خطابًا قدمه للرجلين .. كان مكتوبًا فيه :
ميجور (هامر سميث) :
- « يوم الأربعاء فى الثالثة صباحًا ، سيقتادك إلى

حدائق (روشستر هاوس) رجل يهمنى أمره .. وأنا أسألك ألا تخذلنى .. أحضر معك مجموعة سيوفى ، وسيدين متعاونين يجهلان شخصى .. ولا يجب أن يذكر اسمى فى هذا الموضوع .
(ت. جودول)

قال الكولونيل :
- « كما تريان أنا لا أفهم شيئًا عن الموضوع أكثر منكما .. لكنى غير نادم على هذه الحيلة التى رتبتها : استأجرت هذه الفيلا والخدم .. وقمت بترتيب مع أحد محلات المفروشات لهذه الليلة .. وهأنذا قد ظفرت بعون ميجور (أوروك) و الملازم (ريتش) .. والآن أمامنا ساعة حتى يحين الميعاد وتوجد عربة على الباب بانتظارنا .. »

وناول كلًا منهما مسدسًا محشوًا .. ثم ركب ثلاثتهم العربة قاصدين العنوان الموضح فى خطاب الأمير ..
يقع (روشستر) على ضفاف القنال .. وله حديقة تعزله عن الجيرة بشكل غير معتاد .. ومن الشارع لا يمكنك أن ترى ضوءًا فى أية نافذة .. عامة يبدو المكان كأنما أصحابه قد هجروه منذ زمن ..

دنا الرجال الثلاثة من الباب .. بينما المطر ينهمر مدرارًا ، فوقف الرجال فى ظل شجرة يتهامسون وينتظرون ..

فجأة رفع (جيرالدين) إصبعه يأمرهم بالصمت .. ومن خلال ضوضاء المطر سمعوا صوت رجلين يتحدثان .. بل واستطاعوا تمييز مقاطع من كلامهما :

- « هل تم حفر القبر ؟ »

ردَ الآخر :

- « نعم .. جوار أشجار الغار .. يمكننا تغطيته بألواح الخشب حين نفرغ .. »

وضحك أول المتكلمين فأحدث صدمة لدى من ينصتون ..

ثم بدا من صوت الخطوات أن الرجلين افترقا .. وسلك كل منهما طريقًا مختلفًا ..

هنا ظهر وجه أبيض من البوابة .. وأشارت يد للرجال الثلاثة .. فاتجهوا نحو الباب صامتين كالموتى .. ومشوا وراء مرشدهم بين طرقات الحديقة إلى باب المطبخ فالمنزل ذاته ..

كان دليلهم يقتادهم حاملاً شمعة .. وهو رجل نحيل

محنى الظهر ، من آن لآخر يستدير طالبًا الصمت منهم بإشارة من يده ..

الجو غامض .. والظلام دامس .. والمكان مقفر يناسب أسود الأفعال طرًا .. حتى إن الملازم بدأ يتوتر .. فى النهاية دخلوا حجرة صغيرة تنيرها نار بسيطة .. وجوار المدفأة جلس شاب له مظهر مسيطر قوى .. وفى يده سيجار يدخنه باستمتاع شديد .. وأمامه كأس تحوى سائلاً فوارًا ملأ الغرفة برائحة محببة ..

قال الرجل وهو يشير لـ(الكولونيل) وكان هو الأمير طبعًا :

- « مرحبًا .. عرفت أننى أستطيع الاعتماد عليك .. »

انحنى الكولونيل وقال :

- « بكل إخلاص .. »

ثم تمت طقوس التعارف .. بعدها قال الأمير :

- « كنت أتمنى يا سادة أن يكون برنامجى أفضل ، فمن المُهين أن نبدأ التعارف بهذه الأمور الخطرة .. لكن خطورة الموقف أقوى من واجبات الزمالة .. وأنا أعرف أن رجالاً أقوياء مثلهم يكفيهم أن يعرفوا أنهم أدوا معروفًا .. »

قال الميجور :

- « فليغفر لى سموكم وقاحتى .. لكنى لا أستطيع مداراة ما أعرف .. قد يمكن أن تجد رجلاً فى (لندن) لا يعرف أمير (بوهيميا) .. لكنك بالتأكيد لن تجد رجلين لا يعرفانه ! »

بدا الذهول على الملازم (براكنبورى) حين سمع الاسم .. أما الأمير فقال :

- « لن يضايقنى أن شخصيتى قد انكشفت ، مادام هذا يسهل علىّ توجيه الشكر لكما .. أنا أعرف أنكما كنتما ستفعلان نفس الشىء لمستر (جودول) .. لكن الأمير قادر على توجيه الشكر لكما .. »

مرّ الوقت فى حديث عن (الهند) .. ثم دنا الرجل الذى قادهما إلى الداخل ليهمس بكلمة فى أذن الأمير ..

قال الأمير بصوت عال :

- « حسن يا د. (نويل) .. اغفروا لى يا سادة .. فقد دنت اللحظة .. »

أطفأ د.(نويل) المصباح .. وساد الظلام المكان .. فيما عدا ضوءًا خافتًا من النافذة يعلن قدوم الفجر ..

اتجه الأمير نحو الباب ووقف هناك فى انتباه .. وقال :

- « سيكون فضلاً منكم لو لزمتم الصمت ، واختفيتم فى الظلال .. »

ساد الصمت المكان .. فلم يعودوا يرون سوى الظلام .. ثم رأوا شخصًا يتجه فى تؤدة نحو درج المطبخ .. كان يقف بين خطوة وأخرى ليصغى ..

وتعالى صوت لهاث د. (نويل) وهو واقف ينتظر ما سيحدث .. لقد كان كل هذا ذا تأثير مقلق فى نفوس المنتظرين ..

ثم انفتح باب المطبخ ..

وعلى الباب ظهر خيال رجل منعكسًا على ضوء الفجر خلفه ..

ولبرهة وقف القادم ساكنًا .. كان طويل القامة يحمل سكينًا فى يده .. وفى ضوء الغبشة كنت ترى أسنانه العارية تلتمع كأنما كلب صيد موشك على الانقضاض .. وكنت ترى قطرات الماء تساقط من ثيابه على الأرض ..

فى النهاية عبر العتبة .. ودوت صرخة وصوت عراك ..

وقبل أن يتحرك الكولونيل كان الرجل قد سقط فى يد الأمير .. أعزل .. عاجزًا عن الحراك .. وقال الأمير :

- « د. (نويل) .. أرجو أن تتكرم بإشعال المصباح .. »

ثم ترك سجينه للكولونيل .. واتجه نحو ركن المدفأة ..

فما إن اشتعلت النار فى المصباح حتى رأى الرجال تبدلاً شديدًا فى ملامح الأمير .. لم يعد هو (فلورتيزل) السيد المهذب .. بل هو أمير (بوهيميا) المفعم بالتصميم والعنف ..

وأشار الأمير إلى سجينه وأعلن أنه رئيس نادى الانتحار ..

- « أيها الرئيس .. لقد اجتزت فخك الأخير وسقطت قدماك فيه .. هذا هو آخر صباح تراه .. جنت سباحة عبر قناة (ريجنت) .. هذه هى آخر سباحة لك .. والقبر الذى حفرته لى صباح أمس سيكون - بعون الله القدير - قبرك الخاص .. اركع وصلِّ يا سيدى لأن الوقت قصير .. وجهنم تنتظرك .. »

لم ينبس الرئيس ببنت شفة .. بل ظل ينظر إلى الأرض شاردًا ..

قال الأمير بنبرة أكثر هدوءًا :

- « هو ذا الرجل الذى راوغنى كثيرًا .. لكنى - بفضل د. (نويل) - قد تمكنت منه .. والآن يا سادة ما نحن مقبلون عليه هو تنفيذ حكم أكثر منها مبارزة .. وأنا لن أمنح هذا السفاح فرصة اختيار السلاح الذى يناسبه .. إن رصاصة المسدس تسافر بأجنحة الحظ .. وقد تخذل الشجاعة والمهارة أفضل الرجال .. لهذا اخترت السيوف وأعتقد أنكم توافقون على هذا .. »

ثم أشار إلى رئيس النادى .. وهتف :

- « هلم سيدى .. انتق سيفك فصبرى قد نفد .. »

رفع الرئيس رأسه للمرة الأولى .. وقد استجمع بعض شجاعته .. وسأل :

- « هل سيتم الأمر بينى وبينك ؟ »

- « أردت أن أعطيك شرفًا .. »

- « إن هذا مسلك لائق من سموكم .. ولو حدث الأسوأ فكفانى أن أموت بيد أعظم رجال (أوروبا) .. »

ثم اتجه إلى المائدة وانتقى سيفًا ..

كان مسرورًا .. ومن الواضح أنه كان موقنًا من خروجه سالمًا بعد المبارزة ..

وأدت ثقته بنفسه إلى إثارة رعب المراقبين .. وطلبوا من (فلورتيزل) أن يراجع نيته ..

قال لهم :

ـ « لن تكون سوى مزحة .. وأعدكم يا سادة أن المسرحية لن تطول .. »

ثم قال للكولونيل :

ـ « إن هذا دين شرف علىَ أن أوفيه لك .. إننى مدين لك بموت هذا الرجل .. وأنا مصمم على دفع ديونى .. »

ثم رفع سيفه وأعلن استعداده بإيماءة نبيلة .. ومثله فعل الرئيس .. فقد كان هناك مناخ عام من الرجولة والشرف فى كل هذا ..

قال الأمير :

ـ « فى هذه الحجرة سينتظر (جيرالدين) و.(نويل) .. فلا أريد لصديق لى أن يتدخل فى هذا الأمر .. أما ميجور (أوروك) فإننى أرجوه أن يكون شاهد رئيس النادى .. أما الملازم (ريتش) فأرجوه أن يكون شاهدى .. »

قال (براكنبورى) :

ـ « يا سمو الأمير .. هذا شرف سأقدره تمامًا .. »

ثم تقدم الأمير خارجًا من المطبخ .

ووقف الكولونيل والطبيب فى النافذة ينتظران ما سيحدث من مشاهد دموية .. وكان المطر قد توقف .. والطيور تغرد على أشجار الحديقة ..

تقدم الأمير والرئيس والشاهدان وسط الأشجار ، حتى وصلوا إلى فرجة أخفتهم عن العيون .. فلم يعد الكولونيل يرى ولا يسمع حتى صوت قراع السيوف ..

فقط راح يدعو الله أن ينتصر الحق .. والعرق يغمره ..

مرت دقائق عديدة .. ثم ارتفع صوت خطوات ..

كان القادم هو الأمير مع الضابطين .. لقد انتصر الحق فعلاً ..

قال الأمير :

ـ « أنا خجل من نفسى .. لكن وجود هذا الكلب فى عالمنا كان يمزق أعصابى كالوباء .. وقد أنعشنى موته أكثر من نعاس عميق .. »

وألقى بسيفه أرضًا وقال :

ـ « هى ذى أى (جيرالدين) دماء الرجل الذى

قتل أخاك .. ياله من منظر جميل ! لكن ما جدوى هذا مع كل ما قارف الرجل من إثم ؟ هذا المنزل الذى نحن فيه هو منزله .. فقد كان ثريًا .. ومن الممكن أن أحارب الشرّ إلى يوم الدين ، لكن أخاك سيظل ميتًا .. إن حياة المرء لشىء بسيط هين حين تأخذه .. وشىء عظيم حين تستخدمه فى الخير .. واحسرتاه ! »

قال الدكتور :

- « قد حقت عدالة السماء .. كان الدرس قاسيًا بالنسبة لى .. وإننى لأرتقب دورى فى هلع متوجس .. »

صاح الأمير :

- « ماذا أقول إذن ؟ لقد عاقبتُ .. وهو ذا رجل جوارى يمكن أن أصلح به ما فعلت .. فلنقل يا د.(نويل) إنك قد كفرت عن أخطائك السابقة .. »

قال الطبيب :

- « إذن فاسمح لى أن أذهب لدفن صديقى القديم .. »

يقول الراوى العربى اللوذعى : وهذه كانت النهاية السعيدة لقصتنا .. ولم ينس الأمير واحدًا ممن ساعدوه فى مهمته العظيمة .. وما زال نفوذه يعاونهم فى شق طريقهم فى الحياة .. بينما تضيف صداقته سحرًا إلى حيواتهم الخاصة .. إن كل الأحداث الغريبة التى لعب فيها الأمير دورًا مهمًا لتملأ الأرض بالكتب .. وتعطى زادًا لا ينفد لهواة قصص الشجاعة والمغامرة .

روبرت لويس ستيفنسون

١٨٨٧

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

ألف ليلة و ليلة الجديدة

فى جو ساحر من المغامرة .. والسادة المهذبين الذين لايفقدون وقارهم أبدًا .. والكونتيسات الغامضات .. والمبارزات حتى الموت .. وقسم الشرف الذى لايمكن الحنث به : يقدم لنا (ستيفنسون) أعماله التى يعشقها كل قراء الإنجليزية .. والتى يصبُها فى كأس خلاَّب يذكرنا بألف ليلة وليلة .

21

الثمن فى مصر ١٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
سباق الموت

